



الدكتور محمد محمود عبدالله

الشيعة وعصمة الأئمة

في ضوء القرآن وما نُسب إلى الأئمة

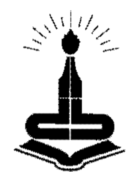
دار عمار


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الشيعة وعصمة الأئمة

في ضوء القرآن وما نُسب إلى الأئمة

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م



دار عمار للنشر والتوزيع
عمّان - ساحة الجامع الحسيني - سوق البتراء - عمارة الحجيري
تلفاكس ٤٦٥٢٤٣٧ - ص.ب ٩٢١٦٩١ عمّان ١١١٩٢ الأردن
E-mail: dar_ammar@hotmail.com



الشيعة وعصمة الأئمة

في ضوء القرآن وما نُسب إلى الأئمة

الدكتور
محمد محمود عبدالله



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ ﴾ سورة الأنعام.

﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ٢٣ ﴾ سورة النجم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠ ﴾ سورة البقرة.



مقدمة

نحمدك اللهم حمدا كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ونصلي ونسلّم على من أرسلته رحمة للعالمين سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه. اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.!

أمّا بعد:

فإنّ أصول العقيدة الإسلامية تبنى على أساس من القرآن الكريم قطعي الدلالة، وقد تُبنى -على خلاف بين العلماء- على أحاديث نبوية صحيحة إذا كانت قطعية الدلالة أيضا.

ومن أصول عقيدة الشيعة الإمامية: عصمة الأئمة الاثني عشر، معتمدين في ذلك على آيات ليست بقطعية الدلالة، ومن أهمها: آية التطهير وهي قوله تعالى:

﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ سورة الأحزاب.

وقوله تعالى:

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ سورة البقرة.

أمّا أدلتهم الأخرى في عصمة الأئمة، فقد ضربنا عن مناقشتها صفحا،

وذلك لما فيها من التأويل الذي بلغ حدّ التكلف البعيد، بل لا تحتمله معاني الآيات أبدا، كما لا تدلُّ عليه لغة العرب، وقد ألّف ابن المطّهر الحلي كتابه (الألفين) لإثبات عصمة الأئمة، وهي ألف وثمانية وثلاثون دليلا، وكان بودّه أن يثبتها بألفي دليل. وعند التأمل في هذه الأدلة كلها لا نجد فيها دليلا واحدا يمكن أن يعوّل عليه في القول بعصمة الأئمة. ومن اهتمام الشيعة الإمامية بعصمة الأئمة: أنّهم قالوا بعصمتهم قبل حديثهم عن عصمة أنبياء الله ورسله. ولم تكن عصمة الأئمة لدى الشيعة الإمامية في جانب واحد، بل كانت في الجوانب كلها: فهي عصمة في الاعتقاد، وعصمة في الأفعال، وعصمة في التبليغ، وعصمة في القضاء...

ولقد ترتب على القول بعصمة الأئمة مخاطر كثيرة: فأفتى بسببها من أفتى من علمائهم بإباحة دماء المسلمين، وإباحة أموالهم، ووجوب قتالهم. حتى وصل الأمر بـ(ابن بابويه القمي) أن أفتى بتكفير من لا يقول بعصمة أهل الكساء فقال:

(من نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر)[1].

وفي هذا البحث المتواضع أُلقي الضوء على هاتين الآيتين: آية التطهير، وآية ابتلاء سيدنا إبراهيم عليه السلام ليتضح لنا: أتدلان على عصمة الأئمة كما يدعي الشيعة الإمامية؟.

---

(١) اعتقادات الصدوق لابن بابويه القمي ص٩٩، مطبوع مع كتاب: شرح الباب الحادي عشر للسيوري، طبعة إيران.

ولقد قدمت للبحث بمقدمة مختصرة في ذكر شيء من عقائد أهل السنة والجماعة، واليهود والنصارى في العصمة، ثم أتبعت البحث بالحديث عن عصمة الأئمة لدى الشيعة الإمامية، وقد وضعت المصادر والمراجع التي نقلت نصوصا منها في الهوامش؛ ليرجع إليها من يريد التأكد من صحة النقل. وإني أتوجه بهذه الرسالة المتواضعة إلى كل شيعي يحبُّ الله ورسوله، ويحب سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وريحانتي رسول اللهﷺ الحسن والحسين، مؤملا أن يقرأها بعقل مستنير بعيد عن الهوى والتعصب المقيت، فهي رسالة تميط اللثام عن أمر خطير يغفل عنه كثير من الناس، ذلك هو أمر العقيدة التي يترتب عليها البقاء الأبدي في جنات الخلود برحمة الله وفضله، أو العذاب المهين في نار السعير والعياذ بالله.

والله أسأل أن يبصّرنا بسبيل الهدى ويوفقنا لاتباعه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.!

الدكتور محمد محمود عبد الله

الأول من شهر رمضان المبارك/ ١٤٣٤هـ

الموافق ١٠/ ٧/ ٢٠١٣م



حديث في العصمة

اختلفت الأديان والملل والنحل في مفهومها للعصمة، فهناك من نفى العصمة عن الأنبياء والرسل، وهناك من كان موقفه على الضد، فنسب العصمة إلى اثني عشر من الأئمة، وهناك من وقف موقفا وسطا يقرّه النقل الصحيح والعقل السليم، فما المراد بالعصمة؟

العصمة في اللغة تأتي بمعنى المنع، يقال: عصمه يعصمه عصما أي منعه ووقاه.

وفي الاصطلاح: (ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها)[1].

عصمة الأنبياء والرسل عند أهل السنة والجماعة

يعتقد أهل السنة والجماعة أنّ أنبياء الله ورسله معصومون عن كل ما يشين؛ فقد اصطفاهم اللهﷻ من أفضل الناس خَلْقا وخُلُقا وعلوا في الفطرة السليمة. ومن صفاتهم الواجبة في حقهم: الصدق والأمانة والفطانة وصحة عقولهم، وحفظ الله ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بالمعاصي، فلا يقترفون ما يتنافى والخلق الكريم، ولا يتركون واجبا، ولا يفعلون محرما بعد النبوة باتفاق، وأمّا قبل النبوة، فقد تقع من قسم منهم مخالفات يسيرة لا تخل بمروءتهم، وقد حلّاهم الله بهذا ليكونوا الأسوة والقدوة في كل فضيلة من الفضائل، ومكرمة من المكرمات الرائعات، وكيف لا يكونون كذلك وهم المبلغون عن الله رسالاته، ويَصِلون الأرض بالسماء..وهم بشر كسائر البشر، يأكلون ويشربون

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف، تأليف: الشيخ عبد الرؤوف المناوي ص٣٢١، تحقيق: جلال الأسيوطي، الطبعة الأولى ٢٠١١، دار الكتب العلمية، بيروت.

ويمرضون ويضطهدون وقد يُقتلون..وهم يجتهدون في غير ما يوحي الله إليهم من الشورى واختيار البدائل في الاجتهاد، وقد أطلعهم الله على جزء من الغيب، وأيدهم بمعجزات باهرات تدلُّ دلالة واضحة على صدقهم لتقوم الحجة على أقوامهم، فيبشرون الناس وينذرونهم، وأضفى القرآن الكريم الطهر والنزاهة وكرم الأخلاق على أنبياء الله ورسله، فقال تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ سورة الأنبياء.

وأمّا غير الأنبياء والرسل مهما كانوا، فليسوا بمعصومين عن ارتكاب ذنوب وزلات وأخطاء وهفوات في الأقوال والأفعال؛ لأنّ الله خلقهم مختارين في الحياة، يصدر منهم الخير والشر، وهم لا يعلمون الغيب. وأهل السنة والجماعة لا يعتقدون بعصمة أحد بعد رسول الله ﷺ فيما يبلغه عن الله.

هذا ملخّص عقيدة أهل السنة والجماعة في أنبياء الله ورسله.

عصمة الأنبياء عند اليهود والنصارى

يسيء اليهود والنصارى إساءات بالغة إلى أنبياء الله ورسله، وينسبون إليهم كثيرا من القبائح والجرائم، نجد ذلك واضحا في أسفار العهد القديم: فقد نفوا العصمة عنهم، ونسبوا إلى أنبيائهم معاصي كثيرة، فذكروا أنّ لوطاً عليه السلام (شرب الخمر، ثمّ نام مع ابنتيه ووطئهما بعد أن سكر؛ فحملتا منه عن طريق الزنا، وولدتا له ولدين ما زال نسلهما إلى اليوم)[1].

وزعموا أنّ داؤد عليه السلام زنا بامرأة قائد جيشه (اوريا) وحملت بالزنا منه؛

---

(١) سفر التكوين: ١٩.

فأهلك زوجها بالمكر، وأخذها زوجة له، وولدت له ابنا هو سليمان، ولكنّ الربّ أحبه[1].

وزعموا أنّ سليمان عليه السلام ارتكب الشر، وعصى ربّه إله إسرائيل؛ فغضب عليه، وارتدّ في آخر عمره، فصار يعبد الأصنام...[2].

وهكذا الأمر لدى النصارى، فهم لا يعتقدون بعصمة الأنبياء، وينسبون لهم كثيرا من المخازي والمثالب، حتى إنّهم نسبوا إلى السيد المسيح عليه السلام أنّه أهان أمّه وإخوته، ولم يسمح لهم بمقابلته...[3].

وهكذا نجد اليهود قد أساءوا إلى رسل الله، وتبنّى تلك الإساءات النصارى فيما بعد فنفوا العصمة عنهم، وصوروهم بصورة الزناة والمتآمرين والقتلة والسكارى والعابدين للأوثان، كما جاء وصفهم في أسفار العهد القديم، ومن الأنبياء الذين افترى اليهود والنصارى عليهم: نوح وإبراهيم وداؤد وسليمان ولوط وغيرهم.

---

(١) سفر صموئيل: ١١.

(٢) سفر الملوك الأول: ١١.

(٣) إنجيل لوقا ٨: ٢٠.



مقابل غلو اليهود والنصارى في الإساءة إلى أنبياء الله ورسله ونفي العصمة عنهم، نجد الشيعة الإمامية قد غالوا بعصمة أئمتهم الاثني عشر. ومن مغالاتهم: أنّ الأئمة عندهم منصب إلهي، والإمام: إمّا أن يكون فوق درجة النبوة، أو يكون في درجتها -على خلاف بينهم-. والذين يفضلون أئمتهم على أنبياء الله ورسله يستدلون على ذلك بقوله تعالى:

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ سورة البقرة. فقالوا في تفسير الآية: إنّ إبراهيمعليه السلام لم ينل مرتبة الإمامة إلا بعد النبوة.!! وسنناقش هذا الاستدلال بعد قليل إن شاء الله.

والأئمة عندهم هم نواب الرسول على تبليغ الشريعة، وأمناء الله على وحيه، ولم يجعلوا عصمتهم في الأمور الدينية وحدها، بل جعلوها حتى في الأمور الدنيوية أيضا، وادّعوا أنّ أئمتهم يولدون متعلمين من غير أن يحتاجوا إلى تعليم المعلمين، وهم يعلمون كل علم، ويتكلمون بكل لغة، من غير أن يعلمهم أحد من البشر، فلا يخفى عليهم كلام طير ولا بهيمة ولا شيء فيه روح.!!

ويكفينا أن نذكر هنا نزرا قليلا من الأبواب التي وردت في كتاب أصول الكافي للكليني، وهو أصح كتاب عند القوم بعد القرآن الكريم، وهو بمنزلة صحيح البخاري عند أهل السنة والجماعة، ليتبين حقيقة الغلو كيف يكون:

(باب: أن الأئمةعليهم السلام يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسلعليهم السلام)[1].

---

(١) الأصول من الكافي للكليني ١/ ٢٥٥، الطبعة الثالثة، دار الكتب الإسلامية.

(باب: أنّ الأئمة عليهم السلام إذا شاءوا أن يعلموا علموا)[1].

(باب: أنّ الأئمة يعلمون متى يموتون، وأنّهم لا يموتون إلا باختيار منهم)[2].

(باب: أنّ الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنّه لا يخفى عليهم شيء)[3].

(باب: إنّ الله عز وجل لم يعلّم نبيّه علما إلا أمره أن يعلمه أمير المؤمنين، وأنّه كان شريكه في العلم)[4].

(باب: إنّ الأئمة لو ستر عليهم لأخبروا كل امرئ بما له وما عليه)[5].

ومما قالوه أيضا: إنّ حساب الناس وإيابهم إلى الأئمة، وأنّهم ما سُئل أحد منهم مسألة فأخّر الجواب، أو قال لا أدري، والراد عليهم كالراد على الله...!!!

وهناك الكثير الكثير من الأبواب التي فيها ما فيها من المغالاة بالأئمة في كتاب الكافي لم نذكرها خشية الإطالة.

ولم تكن هذه عقيدة الكليني وحده، بل هي عقيدة المتأخرين منهم والمعاصرين أيضا، وقد قال محمد رضا المظفر:

(إن قوة الإلهام عند الإمام تسمى بالقوة القدسية تبلغ الكمال في أعلى

---

(١) الأصول من الكافي ١/ ٢٥٨.

(٢) الأصول من الكافي ١/ ٢٥٨.

(٣) الأصول من الكافي ١/ ٢٦٠.

(٤) الأصول من الكافي ١/ ٢٦٣.

(٥) الأصول من الكافي ١/ ٢٦٤.

درجاته.. ومتى توجه إلى شيء من الأشياء وأراد معرفته استطاع علمه بتلك القوة القدسية الإلهامية بلا توقف ولا ترتيب مقدمات ولا تلقين معلم.. والأئمة لم يتربوا على أحد، ولم يتعلموا على يد معلم من مبدأ طفولتهم إلى سنّ الرشد حتى القراءة والكتابة، ولم يثبت عن أحدهم أنّه دخل الكتاتيب أو تتلمذ على يد استاذ في شيء من الأشياء، مع ما لهم من منزلة علمية لا تُجارى، وما سُئلوا عن شيء من الأشياء إلا أجابوا عليه في وقته، ولم تمرّ على ألسنتهم كلمة [لا أدري]، ولا تأجيل الجواب إلى المراجعة أو التأمل ونحو ذلك)[1].

وغالى من غالى منهم بأئمتهم، حتى تجرؤوا على وضع روايات كاذبة يزعمون فيها أنّ أئمتهم ينزل عليهم الوحي. (فعن حمران بن أعين قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك! بلغني أنّ الله تبارك وتعالى قد ناجى عليا عليه السلام؟ قال: أجل! قد كان بينهما مناجاة بالطائف نزل بينهما جبريل)[2].!!

وتعتقد الشيعة الإمامية أنّ الإمام له مهمات كمهمات الأنبياء والرسل في تبليغ الشريعة: فهو الذي يقوم بحفظها، ولا يستطيع أن يقوم بذلك إلا من عصمه الله من الخطأ جملة وتفصيلا. والأئمة الإثنا عشر عندهم (معصومون مطهرون من كل دنس، وأنّهم لا يذنبون ذنبا صغيرا ولا كبيرا، ولا يعصون الله

---

(١) عقائد الإمامية، تأليف: محمد رضا المظفر،ص٧٦-٧٩، دار النعمان، النجف، العراق، نقلا عن كتاب: التكفير للدكتور محمد عمارة، ص١٣٥، الطبعة الأولى ١٤٣٠-٢٠٠٩، دار السلام، القاهرة.

(٢) بصائر الدرجات الكبرى لمحمد بن الحسن الصفار ٨/ ٤٣٠، طبعة إيران، والصفار هذا متوفى سنة ٢٩٠ من الهجرة، ويعده الشيعة من أصحاب الإمام المعصوم الحادي عشر، وهو شيخ الكليني. ينظر: الشهب الحارقة. إعداد: ممدوح الحربي، ص٢٩، الطبعة الأولى ١٤٢٧.

ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن نفى عنهم [العصمة] في شيء من أحوالهم فقد جهلهم، ومَن جهلهم فهو كافر)[1].

وفوق ذلك، فإنّ الإمام المعصوم عندهم لا يخطئ في أقواله وأفعاله، وليس مسؤولا أمام أحد من الناس، وتصديقه في أقواله وأفعاله كلها واجب؛ لأنّهم -كما يعتقدون- لا يرتكبون كبيرة ولا صغيرة، ولا يجوز عليهم أي خطأ كان أو نسيان، وهذا محل إجماع علمائهم إلا من شذّ منهم. قال المجلسي:

(اعلم أنّ الإمامية اتفقوا على عصمة الأئمة من الذنوب: صغيرها وكبيرها، فلا يقع منهم ذنب أصلا، لا عمدا ولا نسيانا ولا لخطأ في التأويل ولا للاسهاء)[2].

والمجلسي هنا يسبغ على الأئمة العصمة من الأخطاء: صغيرها وكبيرها، وكذا العصمة من الخطأ في التأويل والسهو والنسيان. وهذه الصورة التي

---

(١) اعتقادات الصدوق، تأليف أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ص٩٩، مطبوع مع كتاب: شرح الباب الحادي عشر للسيوري، طبعة إيران.

ويعلق الدكتور طه حامد الدليمي على قول ابن بابويه فيقول:

(وهذا يستلزم -وهم يصرحون به- تكفير أكثر من مليار مسلم لا يدين بهذه العقيدة، وتكفير حكامهم، وأولهم الخلفاء الراشدون فما دون بلا استثناء، فضلا عن أجيال المسلمين المتعاقبة على اختلاف أزمنتهم وأمكنتهم وما ينتج عن ذلك من مفاسد لا يمكن إحصاؤها، قد يكون أهونها: حرمة مناكحتهم، وأكل ذبائحهم، وعلى هذه العقيدة بُنيت الفتاوى التي تبيح أموال المسلمين ودماءهم، وتجيز أو توجب مقاتلتهم والخروج عليهم). آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة للدكتور طه حامد الدليمي ص١٠، الطبعة الأولى ١٤٣٣-٢٠١٢.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ٢٥/ ٢١١، الطبعة الثالثة ١٤٠٣، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة الوفاء.

يرسمها المجلسي للأئمة لم تتحقق حتى لأنبياء الله ورسله كما يدل على ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وإجماع الأمة، ولم تتحقق إلا للهﷻ وحده، فهو الذي لا يسهو ولا ينسى.

وقال الشيخ محمد رضا المظفر:

(ونعتقد أنّ الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوما من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سنّ الطفولة إلى الموت عمدا وسهوا، كما يجب أن يكون معصوما من السهو والخطأ والنسيان)[1].

وقال أيضا:

(بل نعتقد أن أمرهم أمر الله تعالى، ونهيهم نهيه، وطاعتهم طاعته ومعصيتهم معصيته، ووليهم وليه، وعدوهم عدوه، ولا يجوز الرد عليهم، والراد عليهم كالراد على رسول الله، والراد على الرسول كالراد على الله تعالى)[2].

ويؤكد شيخ الشيعة المعاصر عبد الله المامقاني: أنّ نفي السهو عن الأئمة أصبح من ضروريات المذهب الشيعي[3].! ولا ريب أنّ منكر الضروري عندهم كافر.!

ويقف الإنسان متعجبا كيف تسوّل لهؤلاء أنفسهم أن يعتقدوا هذه العقيدة التي تتناقض مع ما جاء به القرآن الكريم، وما جاء به الرسولﷺ: فقد ذكر لنا القرآن أنّ الله تعالى وحده هو الذي لا ينسى، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ سورة مريم.

---

(١) عقائد الإمامية للشيخ محمد رضا المظفر ص٩١، دار الصفوة، بيروت.

(٢) عقائد الإمامية ص٩١.

(٣) تنقيح المقال، تأليف عبد الله المامقاني ٣/ ٢٤٠.

وقال: ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ سورة طه.

أمّا البشر، فكلهم معرّضون للنسيان والسهو، ونصّ القرآن الكريم على أنّ رسل الله ينسون ويسهون لأنّهم من البشر، فقال تعالى في سيدنا آدم عليه السلام:

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ سورة طه.

كما ذكر القرآن أيضا ما قاله سيدنا موسى للعبد الصالح بعد أن اعترض عليه: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ﴾ سورة الكهف.

أمّا السنة النبوية، فقد ذكرت أنّ النبيﷺ نسي من صلاته ركعتين، ولمّا أُخبر بذلك قام فأتم صلاته وسجد للسهو سجدتين. والشيعة يقرّون بسهو النبيﷺ في الصلاة وبسجوده السهو.

ومع هذا، فهم يقررون بعقيدتهم هذه أنّ أئمتهم يتقدمون على أنبياء الله ورسله؛ لأنّهم –بزعمهم– لا يسهون ولا ينسون، فاعجب أو لا تعجب ممن يغلق عقله في أهم جانب من جوانب حياته وهي العقيدة التي ندين الله بها يوم القيامة.!!

ولا يظنن أحد أنّ هذه عقيدة المتقدمين فقط من أئمة الشيعة، وأنّ من عاش في القرنين العشرين والواحد والعشرين، وتفتّحت أذهانهم، يربؤون بأنفسهم أن يقلدوا المغالين من أئمتهم المتقدمين –وبخاصة في مجال العقيدة– بلا دليل ولا برهان لا، فقد رأينا من المعاصرين من غالى بالأئمة مغالاة قد تفوق مغالاة المتقدمين. ويكفينا هنا أن نذكر قولا واحدا لواحد من أئمتهم، وقد أحبه الناس

لما قام بثورته التي سماها بالثورة الإسلامية، وملك قلوب كثير من أهل السنة في الأيام الأولى للثورة، فضلا عن غيرهم..لكنّ المغالاة والتطرف لا يقبل بواحد منهما إنسان يحترم عقله؛ فانفضّ عنه المحترمون لعقولهم. واكتفي هنا بذكر هذا النص الذي كتبه الخميني في كتابه (الحكومة الإسلامية) فيقول:

(.. وإنَّ من ضروريات مذهبنا أنَّ لأئمَّتنا مقاماً لا يبلغه ملكٌ مقرَّب ولا نبي مرسَل، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث، فإنَّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة (ع) كانوا قبل هذا العالم أنواراً، فجعلهم الله بعرشه محدقين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلاَّ الله، ... وقد ورد عنهم (ع): إنَّ لنا مع الله حالات لا يسعها ملَك مقرَّب ولا نبي مرسَل. ومثل هذه المنزلة موجودة لفاطمة الزهراء عليها السلام)[1].

الغلو في سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ

أكثرَ الشيعةُ في غلوهم بسيدنا علي بن أبي طالبﷺ، ونسبوا له أقوالا تجعله في مصاف الإله، وهناك –منهم– من كان يفضله على الأنبياء. وفيما يأتي روايات ينسبونها –كذبا وافتراءا– إليهﷺ:

١ – نقلوا عنه أنه كان يقول:

(لقد أعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي، علمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب عنّي ما غاب

(١) الحكومة الإسلامية، تأليف روح الله الخميني ص٤٧–٤٨، الطبعة الأولى ١٤٠٩–١٩٨٨، دار عمار، عمان–الأردن.

عنّي...)[1].

٢- ويغلو الشيعة في سيدنا علي أكثر، فيزعمون أنّه صاحب الجنة والنار، وقد جاء في أخبارهم:

(إذا كان يوم القيامة وضع منبر يراه الخلائق يصعده رجل، يقوم ملك عن يمينه وملك عن شماله، ينادي الذي عن يمينه: يا معشر الخلائق، هذا عليّ بن أبي طالب صاحب الجنّة يدخلها من يشاء، وينادي الذي عن يساره: يا معشر الخلائق، هذا عليّ بن أبي طالب صاحب النّار يدخلها من يشاء)[2]. ونقلوا روايات منها: لا يجوز الصراط أحد إلا ومعه كتاب فيه براءة بولاية علي[3].

٣- قال المجلسي: (إن عليًا أومأ إلى سحابتين، فأصبحت كل سحابة كأنها بساط موضوع، فركب عليٌّ سحابة بمفرده، وركب بعض أصحابه - كما تقول الرواية - كسلمان والمقداد السحابة الأخرى، وقال عليٌّ وهو فوق السحابة: [أنا عين الله في أرضه، أنا لسان الله الناطق في خلقه، أنا نور الله الذي لا يطفأ، أنا باب الله الذي يؤتى منه، وحججه على عباده])[4].

٤- ينسبون -كذبا- إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّه قال:

(أتيت فاطمة صلوات الله عليها فقلت لها: أين بعلك؟ فقالت: خرج به جبريل عليه السلام إلى السماء، فقلت: فيما ذا؟ فقالت: إن نفراً من الملائكة تشاجروا في شيء، فسألوا حكماً من الآدميين فأوحى الله تعالى أن تخيروا، فاختاروا علي بن أبي

---

(١) أصول الكافي للكليني (باب: الأئمة هم أركان الأرض) ١/ ١٩٦.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ٣٩/ ٢٠٠.

(٣) بحار الأنوار ٢٧/ ٣٤.

(٤) بحار الأنوار ٨/ ٦٦.

طالب ﵇)[1].

وهناك الكثير الكثير من الروايات التي تمتلئ بها كتب القوم في مغالاتهم بسيدنا علي، وما ذكرته هنا نماذج قليلة لما ورد في كتبهم ومصادرهم التي يعتزون بها.

وهناك من العلماء الأفذاذ من لا يستبعد أن تكون تلك الروايات في المغالاة بسيدنا علي وبغيره من افتراءات المجوس الذين كادوا للإسلام قديما وما زالوا يكيدون له[2].

مغالاة تضحك حتى الثكلى

ومن مغالاة الشيعة في أئمتهم: أنّ زيارة مقابر وأضرحة أئمتهم تكفّر الذنوب، وتعدل مئات الحجات والعُمَر مع النبي ﷺ، ورتبوا على زيارة قبر الحسين ﵁ من الثواب أكثر مما رتبوه على أجر الحج والعمرة، وهذا مثال واحد من أمثلة كثيرة يرينا الغلو والكذب كيف يكون فقالوا:

(من زار الحسين يوم عاشوراء حتى يظل عنده باكياً لقي الله ﷻ يوم القيامة بثواب ألفي ألف حجة، وألفي ألف عمرة، وألفي ألف غزوة، وثواب كل حجة وعمرة وغزوة كثواب من حج واعتمر وغزا مع رسول الله وآله ومع الأئمة الراشدين...)[3].

ويقف الإنسان العاقل حائرا أمام هذا الكذب وتلك المفتريات.!! والأعجب من ذلك من يُغلق عقله ويصدّق ما يسمعه من الكذب على رسول الله ﷺ فكيف الكذب على غيره؟!!

---

(١) بحار الأنوار ٩/ ٣٧٩.

(٢) أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية للدكتور ناصر القفاري ٢/ ٧٦٢.

(٣) بحار الأنوار ١٠/ ٢٩٠.

الإسناد لدى الشيعة

يعمد الشيعة إلى نقل كل ما يرونه في الكتب، وما ينقله الناس عن أئمة أهل البيت، من غير أن يمحصوا في نَقَلَةِ الإسناد بين الثقات وغيرهم. نحن لا نشك أبدا بصدق علماء آل البيت مثل محمد الباقر وجعفر الصادق...لكنّ المشكلة فيمن ينقلون عنهم. يقول ابن تيمية متحدثا عن الإسناد عندهم:

(..فكل ما يجدونه في الكتب منقولا عن أسلافهم قبلوه بخلاف أهل السنة فإن لهم من الخبرة بالأسانيد ما يميزون به بين الصدق والكذب)[1].

وليس ذلك فقط، بل يعتقدون أنّ ما يصدر عن الأئمة الاثني عشر هو في حكم ما قاله الله تعالى وما قاله النبيﷺ؛ لذلك نجد أسانيدهم تنتهي إلى واحد من الأئمة الاثني عشر، ولا تصل إلى رسول اللهﷺ إلا نادرا. يقول الدكتور عبد الله الفياض من الشيعة الإمامية:

(إن الاعتقاد بعصمة الأئمة جعل الأحاديث التي تصدر عنهم صحيحة، دون أن يشترطوا إيصال سندها إلى النبيﷺ كما هو الحال عند أهل السنة)[2]. وذلك لأنّهم يرون أنّ قول المعصوم حجة عندهم، فلا يُسأل من أين أخذه، مستدلين بما جاء في كتاب الكافي للكليني عن الإمام جعفر الصادق: (من عرف أنّا لا نقول إلا حقا، فليكتف بما يعلم منّا)[3].

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة:

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية ٣/ ٤٠، طبعة القاهرة ١٣٢١-١٩٣٠.

(٢) تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة للدكتور عبد الله الفياض ص١٥٨، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

(٣) الكافي للكليني.

(أكثر ما يروى في الكافي واقف عند الصادقﷺ وقليل منها ما يعلو إلى أبيه الباقر، وأقلّ من ذلك ما يعلو إلى أمير المؤمنين علي كرّم الله وجهه، ونادرا ما يقف عند النبي ﷺ)[1].

الأئمة المعصومون عند الشيعة الإمامية

الأئمة المعصومون عندهم اثنا عشر وهم:

١- علي بن أبي طالب ٢- الحسن بن علي ٣- الحسين بن علي ٤- علي بن الحسين ٥- محمد بن علي ٦- جعفر الصادق ٧- موسى الكاظم ٨- على الرضا ٩- محمد الجواد ١٠- علي الهادي ١١- الحسن العسكري ١٢- محمد بن الحسن بن علي العسكري.

ويرى الشيعة الإمامية أنّ الإمامة بعد جعفر الصادق انقلبت إلى ولده موسى الكاظم، ثم إلى ابنه علي الرضا، ثمّ إلى ابنه محمد الجواد ثمّ إلى ابنه علي الهادي، ثمّ

(١) الإمام الصادق للشيخ محمد أبو زهرة ص٣٣٩-٣٤٠، طبع سنة ١٤٢٥-٢٠٠٥، دار الفكر العربي، القاهرة.

وجاء في كتاب الوافي وغيره: أنّ إماما من أئمة الشيعة من أولاد علي الذين يقولون بعصمتهم قال: (ذروا الناس! فإنّ الناس أخذوا عن الناس، وإنّكم أخذتم عن رسول الله) الوافي ١/ ١٢٤.

وقد يسأل سائل: بأي سند ورد قول المعصوم هذا؟

ويأتي الجواب في كتب الشيعة: (إن شيوخنا رووا عن الباقر والصادق، وكانت التقية شديدة، وكانت الشيوخ تكتم الكتب، فلما خلت الشيوخ وماتت وصلت كتب الشيوخ إلينا، فقال إمام من الأئمة: حدثوا بها فإنها صادقة). شرح الكافي ١/ ٢٨. عن كتاب الوشيعة في نقد عقائد الشيعة، تأليف: العلامة الشيخ موسى جار الله المتوفى سنة ١٣٦٩هـ ص٢٠٢، دراسة وتقديم: الدكتور الحسيني الحسيني معدي، دار الحرم للتراث، القاهرة.

إلى ابنه الحسن العسكري، ثمّ إلى ابنه محمد بن الحسن بن علي العسكري المسمى بالإمام المنتظر. وهذه ترجمة مختصرة لكل واحد منهم:

١- علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، ابن عم النبيﷺ وواحد من العشرة المبشرين بالجنة، وواحد من الستة أصحاب الشورى الذين اختارهم عمر بن الخطاب؛ لينتخبوا الخليفة منهم بعد أن ضربه أبو لؤلؤة فيروز تلك الضربة اللئيمة.

ولد ﷺ قبل البعثة بعشر سنين، وهو أول من أسلم من الصبيان، وتربى في بيت النبوة، وممن اشترك في غزوة بدر، وكان من علماء الصحابة وشجعانهم وزهادهم، ودفع النبيﷺ له الراية يوم خيبر، وزوّجه صغرى بناته فاطمة، وكان من كتّاب الوحي، وولي الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفانﷺ، وكان أعلم الناس بالسنة كما تقول السيدة عائشة رضي الله عنها، وسقط شهيدا على يد الخارجي عبد الرحمن بن ملجم في رمضان سنة (٤٠هـ).

٢- الحسن بن علي بن أبي طالب: سبط النبيﷺ، وأشبه الناس بالنبي عليه الصلاة والسلام. أمّه فاطمة بنت النبيﷺ. ولد في رمضان سنة ثلاث وقيل سنة أربع من الهجرة، وسمّاه النبي حسنا، وقد قال فيه وفي الحسين: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[1].

ولي الخلافة بعد مقتل والده علي، ودخل في حرب مع معاوية، ثم تنازل له حقنا لدماء المسلمين بعد ستة أشهر أو سبعة. وسُمّي العام الذي تمّ فيه الصلح

---

(١) رواه الترمذي في كتاب المناقب (باب: مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب والحسين بن علي رضي الله عنهما) حديث ٣٧٦٨، ص٨٥٢.

بعام الجماعة، وتحقق فيه حديث النبيﷺ: «إنّ ابني هذا سيّد ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[1].

ومات سنة خمسين من الهجرة، ودفن بالبقيع﵁.

٣- الحسين بن علي بن أبي طالب﵁: هو سيد شباب أهل الجنة. ويكفيه فخرا حبّ النبيﷺ ورعايته له، وقد قال فيه:

«حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا حسين سبط من الأسباط»[2].

ولقد كان أبو بكر وعمر وعثمان يرعونه، حتى جعله عمر بن الخطاب مع أخيه الحسن مع السابقين ممن اشترك في غزوة بدر في العطاء، وفضّله على ابنه عبد الله وعلى أبناء الصحابة.

وكان الحسين﵁ له مواقفه البطولية في الدفاع عن سيدنا عثمان بن عفان﵁ لمّا حاصر داره الغوغاء من السبئية وممن سار معهم وأرادوا قتله. وقد قال كنانة مولى صفية أم المؤمنين: (كنت فيمن يحمل الحسين﵁ جريحا من دار عثمان﵁)[3].

ولد الحسين﵁ في رمضان سنة أربع من الهجرة وقيل خمس، وقد صحب أباه

---

(١) رواه البخاري في كتاب الصلح (باب: قول النبي ابني هذا سيد...) حديث ٢٧٠٤، ص٦٩٧.

(٢) رواه الحاكم في كتابه المستدرك في أول فضائل أبي عبد الله الحسين ٣/ ١٩٥، حديث ٤٨٢٠، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الثانية ١٤٢٢-٢٠٠٢، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) ريحانة النبيﷺ الحسين بن علي رضي الله عنهما، تأليف الدكتور: حامد محمد الخليفة ص٣٩، الطبعة الأولى ١٤٢٩-٢٠٠٨، دار القطوف، عمّان-الأردن، نقلا عن كتاب: تاريخ المدينة لابن شبّة ٢/ ٢٤٦. الانصاف ٢٥٨.

وأخاه. وبايعه أهل الكوفة في زمن يزيد بن معاوية وغدروا به، وقُتل شهيدا مظلوما مع جمع من أهل بيته في العاشر من شهر المحرّم سنة إحدى وستين من الهجرة، بعد أن قاتل بشجاعة مع قلة المحاربين معه.!!

أجل لقد قُتل الحسين مظلوما؛ لأنّه طلب أن يذهب إلى يزيد، أو إحدى الثغور ليجاهد هناك، أو إلى بلده، ولكنّ ابن زياد لم يعطه واحدا مما طلب، وقاتلهم الحسين حتى قُتل.!!

٤- علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بزين العابدين لكثرة عبادته.

ولد في شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة. ومات جده سيدنا علي وهو في الثانية من عمره، وقُتل أبوه سيدنا الحسين في كربلاء وهو ابن الثالثة والعشرين من العمر، وكان في المعركة التي قُتل فيها أبوه الحسين، وكان آنئذ مريضا فلم يتعرّض له أحد، ولعلّ الله نجاه لتبقى ذرية الحسين في عقبه، وكان الشاهد الصادق فيما حصل في مأساة كربلاء، وصارح أهل الكوفة بأنّهم هم الذين قتلوا أباه وأهل بيته لما راسلوه ثمّ تخلّوا عنه.!

وعاد زين العابدين إلى المدينة، وكان من أجلّ التابعين تقوىً وورعا: كان إذا توضأ للصلاة اصفرّ لونه! ولمّا سئل عن ذلك قال: (ألا تدرون بين يدي من أقف؟). وقد عُرف بالحزن وكثرة البكاء، حتى عُدّ من البكائين في الدنيا. وقد ابتعد عن المعترك السياسي بعد مقتل أبيه. ولمّا غالى به ناس أنكر عليهم غلوّهم وقال: (**أيها الناس! أحبونا حب الإسلام؛ فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارًا، وحتى بغضتمونا إلى الناس**)[1].

---

(١) الإمام زيد للشيخ محمد أبو زهرة ص٢٩، دار الفكر العربي، القاهرة.

وقال أيضا:

(إنّ قوما من شيعتنا سيحبوننا حتى يقولوا فينا ما قالت اليهود في عزير، وما قالت النصارى في عيسى؛ فلا هم منّا ولا نحن منهم)[1].

وقال لما أثنى عليه نفر من الناس: (ما أكذبكم وما أجرأكم على الله! نحن من صالحي قومنا، وبحسبنا أن نكون من صالحي قومنا)[2].

وما كانﷺ يستغلُّ قرابته من رسول اللهﷺ ليحصل على شيء ولو كان قليلا من المال، وقد قال جويرية بن أسماء -وكان من أقرب المقربين في خدمته- (ما أكل علي بن الحسين بقرابته من رسول اللهﷺ درهما قط)[3].

وكان رحمه الله يُجِلّ أبا بكر وعمر، ويتمتع بجانب كبير من الخلق، فكان يقول إذا أساء إليه أحد: (إن كنتَ صادقا يغفر الله لي، وإن كنتَ كاذبا يغفر الله لك)[4].

توفي رحمه الله بالمدينة، ودُفن بالبقيع سنة أربع وتسعين من الهجرة.

٥- محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بأبي جعفر الباقر.

---

(١) التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي، تأليف: محمد البنداري ص٣٧، الطبعة الثالثة ١٤٢٠-١٩٩٩، دار عمار، الأردن، نقلا عن رجال الكشي لمحمد بن عمر بن عبد العزيز، ص١١١.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٢١٤، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى ١٩٦٨، دار صادر، بيروت.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٩/ ١١٦، الطبعة الثالثة ٢٠٠٩، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) الإمام زيد للشيخ محمد أبو زهرة ص٢٨.

ولد سنة ست وخمسين من الهجرة -كما يقول الحافظ الذهبي- وقُتل جده الحسين وعمره أربع سنوات، وما أن شبّ حتى اشتغل بالعلم حتى لقّب بالباقر لاستنباطه الأحكام من أدلتها، وصارت له منزلة مرموقة في التفسير والحديث والقراءات والفقه والسيرة النبوية. ويُعدّ الباقر من علماء التابعين؛ لرؤيته وسماعه وروايته عن عدد من الصحابة. وقد عُرف بسخائه وعطفه على الفقراء..وكان رجلا زاهدا صابرا خاشعا لله كثير البكاء. وكثيرا ما كان يثني على أبي بكر الصدّيق وعمر بن الخطاب، ويبرأ إلى الله من كل من يبرأ منهما، وكان يغضب حين يغالي الناس في مدحه فيقول: لقد أضلوا كثيرا، ولعن [بيان] وأتباعه، ولعن أبا منصور وطرده وقال: (والله ما بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على الله حجة، ولا نتقرّب إليه إلا بالطاعة...)[1].

وقال لجابر الجعفي: (**بلغني أن قوما بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا وينالون من أبي بكر وعمر، ويزعمون أني أمرتهم بذلك؛ فأبلغهم إني والله منهم بريء، والذي نفس محمد بيده لو وليت لتقربت الى الله بدمائهم ولا نالتني شفاعة محمد ان لم استغفر لهما**)[2].

ولما طلب منه عمر بن عبد العزيز أن يوصيه لمّا وليّ الخلافة فكتب إليه: (أوصيك أن تتخّذ صغير المسلمين ولداً، وأوسطهم أخاً، وكبيرهم أباً؛ فارحم

---

(١) التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي ص٣٨.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ٣/ ١٨٥.

ولدك، وصل أخاك، وبرّ أباك؛ وإذا صنعت معروفاً فَرُبّه)[1].

توفي الباقر سنة أربع عشرة ومائة من الهجرة، ودفن بالبقيع مع والده وعمّ أبيه الحسن بن علي رضي الله عنه جميعا.

٦- جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بجعفر الصادق. وله ألقاب أخرى كالفاضل والطاهر... وهو سادس الأئمة الاثني عشرية. ولد سنة ثمانين للهجرة، وهي السنة التي وُلد فيها أبو حنيفة، وأمّه أم فروة ابنة القاسم، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، ولهذا كان جعفر يقول: ولدني الصديق مرتين[2]، وهو تابعي جليل رأى سهل بن سعد وغيره من الصحابة، وسميت الجعفرية بهذا الاسم نسبة إليه، ونسب الفقه الشيعي الاثني عشري إليه، قال أبو حنيفة: (ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد)[3].

ولقد كان يحب أبا بكر الصديق كثيرا فكان يقول: **(أبو بكر جدي، فلا نالتني شفاعة محمد يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما)**[4].

وقد وصفه الإمام مالك فقال: (كنت آتي جعفر بن محمد، وكان كثير التبسم، فإذا ذكر عنده النبيﷺ اخضرّ واصفرّ. ولقد اختلفت إليه زمانا، فما كنت أراه إلا على إحدى ثلاث خصال: إما مصليا، وإما صائما، وإما يقرأ القرآن، وما رأيته قط

---

(١) الأمالي لأبي علي القالي ٢/ ٣٠٨، الطبعة الرابعة ٢٠١٠، دار الكتب العلمية، بيروت. ومعنى (فرُبّه) أي: أدمه.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي ٣/ ٨٢٩ بتحقيق الدكتور بشار عواد معروف، الطبعة الأولى ٢٠٠٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

(٣) تاريخ الإسلام ٣/ ٨٢٩.

(٤) تاريخ الإسلام ٣/ ٨٣١.

يحدّث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العبّاد الزهاد الذين يخشون الله)[1].

عُرف الصادق بالسخاء حتى كان ينفق كل ما عنده من مال لا يبقي لعياله منه شيئا.

ولقد كثر الغلاة في عصر الصادق، وكان موقفه حازما من مغالاتهم، وقد قال: (**قل للغالية توبوا إلى الله؛ فإنكم فساق كفار مشركون. وقال: لا تقاعدوهم ولا تواكلوهم ولا تشاربوهم ولا تصافحوهم ولا تناكحوهم ولا توارثوهم. ووصفهم بالأفاكين السفلة والكذابين والفساق، ولعنهم وتبرأ منهم...**)[2].

ومن أقواله: (لا زاد أفضل من التقوى، ولا شيء أحسن من الصمت، ولا عدو أضل من الجهل، ولا داء أذوى من الكذب)[3].

ومنها: (إذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين فاتهموهم)[4].

توفي –رحمه الله– في شوال سنة ثمان وأربعين ومائة، وله ثمان وستون سنة، ودفن بالبقيع في المدينة المنورة.

٧– موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب العلوي الحسيني المعروف بموسى الكاظم، ويُكنى بأبي الحسن، وهو والد علي بن موسى الرضا.

---

(١) الإمام الصادق للشيخ محمد أبو زهرة ص٦١.

(٢) التشيع بين مفهوم الأئمة ص٣٨.

(٣) تاريخ الإسلام ٣/ ٨٣٣.

(٤) تاريخ الإسلام ٣/ ٨٣٣.

ولد سنة ثمان وعشرين ومائة. وقد عُرف بالعلم، فكان إماما من أئمة المسلمين، ويُسمى بالعبد الصالح لاجتهاده في العبادة: يسجد فيطيل السجود، وكان جوادا كريما يعطي حتى من يؤذيه (أهدى له مرّة عبد عصيدة؛ فاشتراه واشترى المزرعة التي هو فيها بألف دينار وأعتقه)[1].

٨- علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بعلي الرضا. ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة. كان عالما من العلماء معروفا بفضله مع شرف نسبه، وقد أفتى في مسجد النبيﷺ وهو ابن نيّف وعشرين سنة. وكان من دعائه في عرفات: (اللهم كما سترت عليّ ما أعلم، فاغفر لي ما تعلم، وكما وسعني علمك، فليسعني عفوك، وكما أكرمتني بمعرفتك، فاشفعها بمغفرتك يا ذا الجلال والإكرام)[2]. توفي سنة ثلاث ومائتين في طوس بخراسان.

٩- محمد بن علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، ويلقب بالجواد، وبالقانع، وبالمرتضى. ولد سنة خمس وتسعين ومائة. أخذ الحديث عن أبيه، وتوفي سنة عشرين ومائتين ببغداد، وقبره عند جده موسى بن جعفر في مقابر قريش.

١٠- علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق الملقب بالهادي، ويقال العسكري، نسبة إلى (سُرّ من رأى)؛ لأنّ الخليفة العباسي المعتصم بالله لما بناها وجاءها بعسكره قيل لها العسكر. ولد سنة أربع عشرة ومائتين، وتوفي سنة

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٠/ ١٩٢.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ٩/ ٣٨٩، حقق هذا الجزء كامل الخرّاط، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٢٢-٢٠٠١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

أربع وخمسين ومائتين في (سُرّ من رأى) ودفن فيها.

١١- الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق، ويلقّب بالعسكري أيضا -نسبة إلى مدينة العسكر-. ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وتوفي سنة ستين ومائتين، ودفن إلى جنب أبيه في العسكر، وسميت -فيما بعد- بسامراء[1].

١٢- محمد بن الحسن بن علي العسكري. ولد سنة ست وخمسين ومائتين -على الروايات الشيعية- وتوفي والده وعمره خمس سنين. ولا تذكر كتب التاريخ المعتبرة شيئا من حياته. وقد قال محمد بن جرير الطبري، ويحيى بن صاعد: إنّ الحسن العسكري لم يترك أولادا: فقد مات من غير عقب، وصرّح جعفر بن علي -شقيق الحسن العسكري- أنّ الحسن لم يكن له ولد[2].

أمّا الشيعة فيدّعون أنّ هذا الطفل دخل سردابا في دار أبيه عند وفاة أبيه سنة ستين ومائتين، وغاب فلم يخرج من السرداب إلى يوم الناس هذا. ويدّعون -أيضا- أنّه حي ولا يموت حتى يخرج، فيملأ الأرض عدلا بعد أن مُلئت ظلما وجورا. يقول الإمام الخميني:

---

(١) هؤلاء الأئمة الأحد عشر ناس عظماء. ونحن أهل السنة والجماعة نجلّهم ونحترمهم ونحبهم، بل نتقرّب إلى الله تعالى بحبنا لهم، ونأخذ بأقوالهم التي تردنا عن الأسانيد الصحيحة كما نأخذ بأقوال أئمتنا المجتهدين الأربعة وغيرهم سواء بسواء، وندعو الله أن يحشرنا معهم..! ولكن قاتل الله الغلاة: أولئك الذين أكثروا من الكذب عليهم، ونسبوا إليهم روايات وأقوالا افتراءا عليهم تخرجهم عن الإيمان الحق والعقيدة الصحيحة.!

(٢) الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام، تأليف الشيخ: محمد منظور نعماني، ص١٠٨، ترجمه الدكتور: محمد البنداري، الطبعة الأولى ١٤٠٨-١٩٨٧، دار عمّار، عمّان-الأردن.

(قد مرّ على الغيبة الكبرى لإمامنا المهدي أكثر من ألف عام، وقد تمرُّ ألوف السنين قبل أن تقتضي المصلحة قدوم الإمام المنتظر)[1].

(١) الحكومة الإسلامية، تأليف: روح الله الخميني ص٢٣-٢٤، الطبعة الأولى ١٤٠٩-١٩٨٨، دار عمّار، عمّان-الأردن.

ولقد زعم الخميني أنّ المهدي سينجح فيما أخفق في تحقيقه الأنبياء، فقال في خطابه الذي ألقاه بمناسبة ذكرى مولد الإمام المهدي في الخامس عشر من شعبان سنة ١٤٠٠، وقد سجلت وسمعها العالم، وحفظتها الصحف العالمية، قال الخميني:

(لقد جاء الأنبياء جميعًا من أجل إرساء قواعد العدالة في العالم، لكنهم لم ينجحوا، حتى النبي محمد خاتم الأنبياء الذي جاء لإصلاح البشرية، وتنفيذ العدالة، وتربية البشر لم ينجح في ذلك، وإن الشخص الذي سينجح في ذلك، ويرسي قواعد العدالة في جميع أنحاء العالم، في جميع مراتب إنسانية الإنسان وتقويم الانحرافات؛ هو المهدي المنتظر...فالإمام المهدي الذي أبقاه الله سبحانه وتعالى ذخرًا من أجل البشرية، سيعمل على نشر العدالة في جميع أنحاء العالم، وسينجح فيما أخفق في تحقيقه الأنبياء).

لزيادة الاطلاع ينظر: نهج خميني في ميزان الفكر الإسلامي، تأليف الدكتور: أحمد مطلوب وجماعته ص٤٦، الطبعة الأولى ١٤٠٥-١٩٨٥، دار عمّار، عمّان-الأردن.

آية التطهير وعقيدة العصمة

استدل الشيعة بعدد من الأدلة ليثبتوا فيها عقيدتهم في عصمة الأئمة. ومن أهم أدلتهم في القرآن الكريم وأقواها ما يأتي:

١- ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ سورة الأحزاب. فقالوا: إنّ المراد بالتطهير وإذهاب الرجس: العصمة من الذنب والخطأ والسهو، وقد عصم الله أهل البيت من ذلك.

ويقرر الطبرسي أنّ أهل البيت في هذه الآية هم: النبيﷺ وعلي بن أبي طالب وفاطمة بنت النبي والحسن والحسين. ويرى أنّ إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم يعني أنّهم معصومون من القبائح كلها، ومن الأخطاء والذنوب كبيرها وصغيرها، وحتى من الخطأ والسهو البشري؛ ليصل -بعد ذلك- إلى ثبوت العصمة لأهل البيت ومنهم الأئمة[1].

وليس هذا رأي الطبرسي وحده، بل هو محل اتفاق عقيدة الإمامية، فقال المجلسي:

(اعلم أنّ الإماميّة اتّفقوا على عصمة الأئمّة من الذّنوب صغيرها وكبيرها فلا يقع منهم ذنب أصلاً، لا عمدًا ولا نسيانا، ولا الخطأ في التّأويل ولا للإسهاء)[2].

---

(١) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ٨/ ١٤٨، حققه لجنة من العلماء، الطبعة الأولى ٢٠٠٥، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

(٢) بحار الأنوار لمحمد باقر المجلسي ٢٥/ ١١، الطبعة الثالثة ١٤٠٣، دار إحياء التراث العربي. مؤسسة الوفاء.

وأول ما نحب أن نقوله هنا: إنّ آية التطهير قطعية الثبوت، لكنها ليست بقطعية الدلالة. ولا تؤخذ العقيدة إلا من دليل قطعي الثبوت وقطعي الدلالة؛ لتوجب العلم وتفيد التصديق الجازم(1)، أمّا الدليل قطعي الثبوت وظني الدلالة، فلا يؤخذ في موضوع العقيدة لاحتماله معنيين مع ترجح أحدهما(2). ويستأنس لهذا بالقاعدة الأصولية: (الدليل إذا طرقه الاحتمال بطل به الاستدلال). وقد نعى القرآن الكريم على من يتبع الظن فقال تعالى:

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى (٢٣) ﴾ سورة النجم.

والآيات في هذا المعنى كثيرة، تنصّ نصا صريحا واضحا على ذم من يتبع الظن في العقيدة. وهكذا جاء الذم على ما لم يقم دليل قاطع في أمر العقيدة عليه.

وإذا كان القرآن قد نعى على من يتبع الظن، فقد نعى في الوقت نفسه على كل عقيدة لا تستند إلى برهان أو سلطان. ويفيد كل لفظ من هذين اللفظين على معنى القطع والجزم. فلا يصح الاعتماد على ظني الدلالة؛ لأنّه لا يفيد العلم.

وننظر في عصمة الأئمة لدى الشيعة الإمامية، فنراها ضرورة من ضروريات

---

(١) الدليل قطعي الثبوت والدلالة كقوله تعالى ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ سورة النور/ ٢. فإنّ دلالة (مائة جلدة) قطعية على هذا العدد، ولا تحتمل معنى آخر.

(٢) مثال قطعي الثبوت ظني الدلالة قوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ سورة البقرة/ ٢٢٨، فإنّ لفظ (قروء) يحتمل أن يراد به [الأطهار]، ويحتمل أن يراد به [الحيضات]، ولكل معنى من المعنيين ما يؤيده من الأدلة؛ لذلك صارت الدلالة على الحكم هنا ظنية وليست بقطعية. هذا في قضية الأحكام الفقهية، فكيف الأمر إذا تعلّق بالعقيدة.؟؟؟

الاعتقاد عندهم، ويقوم عليه أصل عقيدة (الإمامة)، فهل آية التطهير نصٌّ قطعي الدلالة في العصمة؟.

ونقرأ آية التطهير ونعيد النظر فيها، فلا نجد فيها ما يدل على عصمة أي إنسان كان، والقول بدلالة الآية على العصمة إنما هو ظنّ ليس إلا، فبطل الاستدلال بها على العصمة.

وثاني ما نقوله انّ الله سبحانه أنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، ولا يفسّر القرآن إلا على وفق لغة العرب. وننظر في كل ما قالته العرب، فلا نجد التطهير يأتي بمعنى العصمة.

المعنى العام لآية التطهير

هذه الآية الكريمة جاءت مع ما قبلها من آيات وما بعدها تحمل الأوامر والنواهي لأزواج النبيﷺ أمهات المؤمنين، وذلك من الآية ٢٨ من سورة الأحزاب إلى الآية ٣٤ من السورة نفسها. وفي الآيتين الأوليين تخيير النبيﷺ لأزواجه بين فراقهنّ إن أردن الحصول على ما يشتهين من زهرة الحياة الدنيا، والسعة فيها والتنعم بها، وبين أن يعشن مع النبيﷺ مطيعات لله والرسول في شظف العيش وخشونة الحياة. وجاء -بعد ذلك- الوعظ من الله والإرشاد لهنّ خشية أن يرتكبن ذنبا من الذنوب القبيحة كعصيان الله ورسوله، مبينا أنّ الله تعالى يضاعف العذاب ضعفين إذا ارتكبت نساء النبي شيئا من ذلك، بسبب مكانتهن من رسول اللهﷺ؛ لأنّ صدور المعصية منهنّ أكثر قبحا، وأمّا الطائعات من أمهات المؤمنين فيضاعف الله لهنّ الأجر مرتين. وبعد ذلك يأتي الإرشاد والوعظ نداء من الله لنساء النبي، مبينا لهنّ المكانة العظيمة التي هنّ فيها، فهنّ

زوجات النبي الكريم، وكفى بذلك عظمة في المكانة ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ ﴾ سورة الأحزاب. وأردف ذلك بأمر الله لهنّ بالاستقرار في البيوت وعدم الخروج منها إلا عند الضرورة، وإذا خرجت إحداهنّ فلتخرج في لباس الحشمة والوقار، وأتبع القرآن ذلك بالأمر لهنّ بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة؛ لأنّهما أساس العبادات البدنية والمالية، كما دعاهن إلى طاعة الله ورسوله.

وبعد تلك التوجيهات جاء التعليل القرآني لهذه الأوامر والنواهي التي توجهت لزوجات النبيﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾.

وتدخل زوجات النبيﷺفي سياق هذه الآية الكريمة دخولا أوليا في مصطلح (أهل البيت). فيكون معنى الآية: إنّ اللهﷻ يريد بتلك الأوامر والنواهي الموجهة لزوجات النبي الطاهرات أن يحليهنّ بالكمالات ويخليهن عن النقائص، ويذهب السوء والفحشاء والقذارة عن أهل بيت النبي ويطهرهنّ تطهيرا. أمّا لفظ (الأهل) في الآية الكريمة فقد ورد في لغة العرب، وآيات القرآن، وأحاديث النبيﷺ على إطلاق هذا اللفظ على زوجة الرجل، وجرى العرف بذلك كما نذكره بعد قليل إن شاء الله، وربما كان ذلك لأنّ أمر المرأة مبني على الستر.

ويبدو واضحا أنّ المراد بأهل البيت في هذه الآية هنا: زوجات النبي الطاهرات؛ بدليل قوله تعالى أيضا: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ

﴿ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ سورة الأحزاب.

وسياق الآيات خطاب لأزواج النبيﷺ من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ ﴾.

الزوجة من أهل بيت الرجل

الأدلة التي تثبت أنّ الزوجة من أهل بيت الرجل كثيرة لغة وشرعا وعرفا وعقلا، وسأكتفي هنا بذكر الأدلة اللغوية والشرعية:

١- **الدليل اللغوي**: اتفق علماء اللغة على إطلاق لفظ أهل الرجل على زوجته، فقال الخليل بن أحمد الفراهيدي:

(أهل الرجل زوجته)[1].

وقال ابن منظور:

(أهل الرجل زوجته)[2].

وقال الراغب الأصفهاني:

(أهل الرجل في الاصل من يجمعه وإياهم مسكن واحد ... وعبر بأهل الرجل عن امرأته. .. وتأهل إذا تزوج ومنه قيل أهلك الله في الجنة أي زوجك فيها وجعل لك فيها أهلا يجمعك وإياهم)[3].

---

(١) كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ٤/ ٨٩ بتحقيق: مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، بيروت.

(٢) لسان العرب لابن منظور ١/ ١٨٦، الطبعة الأولى ٢٠٠٠، دار صادر، بيروت.

(٣) المفردات في غريب القرآن لفظ (أهل).

وقال الرازي في مختار الصحاح:

(وقد أَهَلَ الرجل تزوج، وبابه دخل وجلس، وتَأَهَّلَ مثله)[1].

وقال الزمخشري:

(وتأهل: تزوج، ورجل آهل. وفي الحديث: [أنه أعطى العزب حظاً وأعطى الآهل حظين]. وآهلك الله في الجنة إيهالاً: زوجك)[2].

٢- الدليل الشرعي:

هناك آيات قرآنية كريمة تنصُّ نصا صريحا واضحا على أنّ الزوجة من أهل بيت الرجل، قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ سورة القصص.

وواضح من سياق الآيات أنّ سيدنا موسى حين سار لم يكن معه تلك الساعة غير زوجه.

ونجد في القرآن إضافة (الأهل) إلى إبراهيم عليه السلام، والمراد زوجته وحدها، قال تعالى حاكيا عن سيدنا إبراهيم مع ضيوفه من الملائكة:

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة الذاريات.

وقال تعالى على لسان (سارة) زوجة إبراهيم عليه السلام:

---

(١) مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، لفظ (أهل).

(٢) أساس البلاغة للزمخشري لفظ (أهل).

﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ وتجيبها الملائكة: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ سورة هود.

وحكى القرآن الحكيم قول امرأة العزيز وقد خاطبت زوجها:

﴿ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ سورة يوسف. أي زوجتك.

ويوجّه الله تعالى خطابه لنبيه محمدﷺ فيقول له:

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ ﴾ سورة آل عمران. فجاء اللفظ القرآني هنا (أهلك) وهم الذين يجمعهم وإياه مسكن واحد، وهم أزواجه وليس غير. فقد كان للنبيﷺ عدد من البيوت بعدد أزواجه، فكان لكل زوجة من زوجاته بيت. ويضيف القرآن الكريم هذه البيوت مرّة له ومرّة لهنّ.

وتتحدث هذه الآية الكريمة عن ذلك اليوم الحاسم في تاريخ الدعوة الإسلامية، وكيف خرج النبيﷺ من بيت أحب زوجاته إليه عائشة رضي الله عنها وهي من أهله المقرّبين بنصّ القرآن الكريم (من أهلك).

وفي هذا المعنى ورد قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ سورة الأحزاب/ ٥٣، ومعروف أنّ بيوت النبيﷺ هي التي فيها أزواجه.

والآيات التي تنصّ على أنّ لفظ (الأهل) يُراد به الزوجة كثيرة في القرآن الكريم، وهو المعنى الحقيقي (لأهل البيت)، والأصل أن يحمل اللفظ على

الحقيقة، ولا يحمل على المجاز إلا إذا تعذّر حمله على الحقيقة، مع وجود قرينة تصرفه عن الحقيقة إلى المجاز.

ونرجع إلى آية التطهير فنرى سياقها متصلا بما قبلها، ويدل على دخول نساء النبي ﷺ فيها، قال تعالى:

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ ﴾ سورة الأحزاب.

النبي ﷺ يطلق الأهل على الزوجة

وننظر في أحاديث النبي ﷺ، فنجده عليه السلام يطلق الأهل على الزوجة في عدد كثير من الأحاديث، من ذلك قوله ﷺ:

«أَيُّمَا رَجُلٍ رَأَى امْرَأَةً تُعْجِبُهُ فَلْيَقُمْ إِلَى أَهْلِهِ، فَإِنَّ مَعَهَا مِثْلَ الَّذِي مَعَهَا»[1].

وقالت السيدة عائشة عن صلاة رسول الله ﷺ:

(كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَيُحْيِي آخِرَهُ ثُمَّ إِنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى أَهْلِهِ قَضَى حَاجَتَهُ

---

(١) رواه الدارمي في كتاب النكاح (باب: الرجل يرى المرأة فيخاف على نفسه) حديث ٢٢١٥، سنن الدارمي ١/ ٦٣١، الطبعة الأولى ١٤٢٠-٢٠٠٠، دار الحديث، القاهرة.

ثُمَّ يَنَامُ)[1].

وقال ﷺ:

«وَإِمَاطَتُهُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ وَبُضْعَةُ أَهْلِهِ صَدَقَةٌ»[2].

وجاء في حديث عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك، وفيه قال النبي ﷺ:

«يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قد بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بيتي، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلاَّ خَيْرًا»[3].

وعن أنس بن مالك أنّ نساء النبي ﷺ قلن للنبي ﷺ بعد بنائه بزينب: (يا رسول الله كيف وجدت أهلك؟)[4].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ)[5].

وعن ابن عباس رضي الله عنه: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَبِيتُ اللَّيَالِيَ الْمُتَتَابِعَةَ طَاوِيًا وَأَهْلُهُ لاَ

---

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها (باب: صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ) حديث ٧٣٩، صحيح مسلم ١/ ٥١٠، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) رواه أبو داؤد في كتاب السنة (باب: في إماطة الأذى عن الطريق) حديث ٥٢٤٣، سنن أبي داؤد اعتنى به مشهور بن حسن آل سلمان، ص٩٤٨، دار المعارف، الرياض.

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير (باب: ﴿ لَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾) حديث ٤٧٥٠، ص١٢٠٣، الطبعة الثانية ١٤٢٨-٢٠٠٧، دار المعرفة، بيروت.

(٤) رواه مسلم في كتاب النكاح (باب: زواج زينب بنت جحش) حديث ١٤٢٨، صحيح مسلم ٢/ ١٠٤٨.

(٥) رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، حديث ٢٩٧٠، صحيح مسلم ٤/ ٢٢٨٢.

يَجِدُونَ عَشَاءً وَكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبْزَ الشَّعِيرِ)[1].

فقد سمّى النبيﷺ زوجته في هذه الأحاديث: أهله.

وهناك أحاديث كثيرة في هذا المعنى، تدل دلالة واضحة على أنّ النبيﷺ كان يستعمل (الأهل) في الزوجة.

المفسرون وآية التطهير

ولقد أكثر المفسرون من النصوص الدالّة على دخول زوجاتهﷺ في أهل بيته، فقال العلامة الزمخشري:

(و[أَهْلَ البيت] نصب على النداء. أو على المدح. وفي هذا دليل بيّن على أنّ نساء النبيﷺ من أهل بيته)[2].

وقال ابن كثير في تفسير آية التطهير:

(وهذا نص في دخول أزواج النبيﷺ في أهل البيت ها هنا؛ لأنهن سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولا واحدا، إما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح.

وروى ابن جرير: عن عِكْرِمة أنه كان ينادي في السوق: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾، نزلت في نساء

---

(١) رواه الترمذي في أبواب الزهد (باب: ما جاء في معيشة النبيﷺ وأهله) حديث ٢٣٦٠، ص٥٣٢.

(٢) تفسير الكشاف للزمخشري ص٨٥٥، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: خليل مأمون شيحا، الطبعة الثالثة ١٤٣٠-٢٠٠٩، دار المعرفة، بيروت.

النبيﷺ خاصة... وقال عكرمة: من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبيﷺ)[1].

وقال أيضا:

(ثم الذي لا يشك فيه من تَدَبَّر القرآن أن نساء النبيﷺ داخلات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾، فإن سياق الكلام معهن؛ ولهذا قال تعالى بعد هذا كله: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾)[2].

وقال شهاب الدين الآلوسي:

(فالمراد بأهله نساؤهﷺ المطهرات للقرائن الدالة على ذلك من الآيات السابقة واللاحقة مع أنه عليه الصلاة والسلام ليس له بيت يسكنه سوى سكناهن وروى ذلك غير واحد)[3].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسير آية التطهير:

(إنّ قرينة السياق صريحة في دخولهن، لأن الله تعالى قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة الأحزاب/ ٢٨، ثم قال في نفس خطابه لهن: {﴿ إِنَّمَا

---

(١) تفسير ابن كثير ٥/ ١٦٩، بتحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الثانية ١٤٢٣-٢٠٠٢، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) تفسير ابن كثير ٥/ ١٧٤.

(٣) روح المعاني المعروف بتفسير الآلوسي ٢١/ ٢٩٨، حقق هذا الجزء: ماهر حبوش، وساهم في تحقيقه: أحمد طايس حسن، الطبعة الأولى ١٤٣١-٢٠١٠، مؤسسة الرسالة، بيروت.

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ سورة الأحزاب/ ٣٣، ثم قال بعده: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ سورة الأحزاب/ ٣٤ الآية.

وقد أجمع جمهور علماء الأصول على أن صورة سبب النزول قطعية الدخول، فلا يصح إخراجها بمخصص)[1].

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور:

(و[أهل البيت]: أزواج النبيﷺ، والخطاب موجه إليهن، وكذلك ما قبله وما بعده، لا يخالط أحداً شك في ذلك، ولم يفهم منها أصحاب النبيﷺ والتابعون إلا أن أزواج النبي عليه الصلاة والسلام هن المراد بذلك وأن النزول في شأنهنّ)[2].

ويبيّن الدكتور طه حامد الدليمي بيانا شافيا أنّ بيوت النبيﷺ هي بيوت أزواجه فيقول:

(وتكرر ذكر [البيت] في الخطاب السابق -أي آيات سورة الأحزاب- ثلاث مرات:

الأولى: في قوله تعالى ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾، والثانية في قوله: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ ، وجاءت المرّة الثالثة في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ، ثمّ

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ٦/ ٣٧٨، خرّج أحاديثه: الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي، الطبعة الثالثة ١٤٢٧-٢٠٠٦، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٢٢/ ١٥، الدار التونسية، تونس، طبع سنة ١٩٨١.

بعد عدة آيات يتكرر ذكر [البيت] ولكن هذه المرة مضافا إلى النبيﷺ في قولهﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ ﴾ وفي آخر هذه الآية قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ ﴾.

والبيوت المذكورة في الآية الأخيرة ليست بيوتا أُخرى غير البيوت التي ذُكرت في الأبيات الأولى، إنما هي بيوت واحدة محددة، تضاف مرة إلى أزواجه، ﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ ، ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾، ومرّة تضاف إلى النبيﷺ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ ﴾. ولاشك أنّ هذه البيوت واحدة؛ فبيوت النبيﷺ هي بيوت أزواجه، وبيوت أزواجه بيوته هو بلا فرق؛ إذ لا يعقل أن تكون لأزواجه بيوت خاصة بهنّ، وللنبي بيوت أخرى غيرها، إذن البيت واحد. وهو مشترك بين الجميع الذين هم أهله، فيضاف مرّة إليهنّ ومرّة إليه حسب مقتضى الكلام. فإذا أطلق لفظ [البيت] من دون إضافة فليس هو غير البيت الواحد المشترك بين النبيﷺ وأزواجه...)[1].

وهكذا يظهر جليا: أنّ آية التطهير وردت في أزواج النبيﷺ ورضي الله عنهنّ، وأحبَّ النبي صلوات الله وسلامه عليه أن يشمل التطهير عليا وفاطمة والحسن والحسين؛ ليزدادوا شرفا على شرفهم، وطهرا على طهرهم، وخيرا على خيرهم؛ فألحق أهل الكساء بأزواج النبي التي نزلت الآية في مخاطبتهن كرما

(١) آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة للدكتور طه حامد الدليمي ص٣٢-٣٣.

وفضلا من رسول الله ﷺ. فقد روت عائشة رضي الله عنها قالت: (خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرَّحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾)[1].

فإن قال قائل: إنّ هذا الحديث نصٌّ في أنّ أهل البيت هم علي بن أبي طالب، وولداه الحسن والحسين وفاطمة ﷺ جميعا وحدهم.!

قلنا: الحديث الشريف لم ينصّ على أنّ هؤلاء -وحدهم- هم أهل البيت. فقد روى مسلم عن أبي (حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ أَنَّهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهَّ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ قَالَ: «قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»)[2].

وفي هذا الحديث أفرد النبي ﷺ أزواجه وذريته على وجه التأكيد، وجاء -بعد ذلك- التعميم ليدخل فيه غير الأزواج والذرّية من أهل بيته.

وروى مسلم أنّ زيد بن أرقم حدّث حصين بن سبرة عن خطبة النبي ﷺ في [غدير خم]، فكان مما قاله: («وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَّ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَّ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَّ فِي أَهْلِ بَيْتِي». فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ

---

(١) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب: فضائل أهل بيت النبي ﷺ) حديث ٢٤٢٤، صحيح مسلم ٤/ ١٨٨٣.

(٢) رواه مسلم في كتاب الصلاة (باب: الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد) حديث ٤٠٧، صحيح مسلم ١/ ٣٠٦.

نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ. قَالَ وَمَنْ هُمْ قَالَ هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَبَّاسٍ. قَالَ كُلُّ هَؤُلاَءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ قَالَ نَعَمْ)[1].

وهذا نصّ من زيد بن أرقم على أنّ نساء النبيﷺ من أهل بيته. يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله:

(فجمع بين الأزواج والذرية والأهل. وإنما نص عليهم بتعيينهم؛ ليبين أنهم حقيقون بالدخول في الآل، وأنهم ليسوا بخارجين منه، بل هم أحق من دخل فيه، وهذا كنظائره من عطف الخاص على العام وعكسه؛ تنبيهًا على شرفه، وتخصيصًا له بالذكر من بين النوع؛ لأنه أحق أفراد النوع بالدخول فيه)[2].

ويقول العلامة ابن كثير:

(فإن كان المراد أنهن كُنّ سبب النزول دون غيرهن فصحيح، وإن أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن، ففي هذا نظر؛ فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك)[3].

فإن قال قائل: لقد نصّ حديث النبيﷺ على أنّ أهل بيته مَنْ حرم الصدقة بعده وهم: (آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس).

---

(١) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب: من فضائل علي بن أبي طالبﷺ) حديث ٢٤٠٨، صحيح مسلم ٤/ ١٨٧٣.

(٢) الموقف من الشبهات على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تأليف: د. حامد محمد الخليفة ص٧٤، الطبعة الأولى ١٤٣٠-٢٠٠٩، دار عمّار، عمّان.

(٣) تفسير ابن كثير ٥/ ١٧٠.

فالجواب عن ذلك: أنّ زوجاته صلوات الله وسلامه عليه ممن تحرم عليهن الصدقة؛ لأنّها أوساخ الناس، وقد صان الله نبيّه عن أوساخ بني آدم . ويقرر ابن قيم الجوزية: (أنَّ تحريمَ الصَّدقةِ على أزواجِ النَّبِيِّ ﷺ ليس بطريق الأصالةِ، وإنَّما هو تَبَعٌ لتَحريمها عليه ﷺ، وإلاَّ فالصَّدقةُ حلالٌ لهنَّ قبل اتِّصالِهِنَّ به...)[1].

والعجيب أنّ الشيعة الإمامية ينصون في كتبهم المعتبرة عندهم على إطلاق الأهل على الزوجة، لكن إذا كان الأمر أمر أمهات المؤمنين لا يقولون بذلك. فروى الكليني عن حمّاد عن الحلبي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: (جعلت فداك، إنّي لما قضيت نسكي للعمرة أتيت أهلي ولم أُقصّر؛ قال: عليك بدنة...)[2].

وقال جعفر الصادق عليه السلام: (إذا أتى أحدكم أهله فليذكر الله)[3].

لماذا جاء التطهير بضمير المذكر

وقد يسأل سائل: لماذا جاء التطهير هنا بضمير المذكّر فقال ﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ ﴾ ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ ﴾ ولم يقل (عنكنّ) و(يطهركنّ)، فلو كان الخطاب للنساء لأتى بصيغة التأنيث؟

والجواب: إنّ التذكير هنا جاء باعتبار لفظ (الأهل)، كما قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾

---

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام لابن قيم الجوزية ص١٤٠ بتحقيق الدكتور: عبد الصمد الجابري، الطبعة الأولى ١٤٣٣-٢٠١٢، مركز الشرق الأوسط الثقافي، بيروت.

(٢) الكافي للكليني ٤/ ٤٤١.

(٣) تحرير الوسيلة للخميني ٢/ ٢٣٩، وبحار الأنوار ٦/ ٢٠١.

سورة هود. ولم يقل (عليكن)، وكما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك؟ يريد زوجته أو زوجاته. فيقول: هم بخير، ولا يقول هنّ بخير.

وهكذا الأمر في آية التطهير، فجاء التذكير في الآية على طريقة (التغليب) التي قررها علماء البلاغة: أنّه إذا اجتمع المذكّر والمؤنّث غُلِّب المذكر. فالمسألة إذن من باب التغليب، وعلى هذا جاء -أيضا- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ سورة آل عمران. وقوله تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ سورة المؤمنون؛ ليعم الرجال والنساء من باب (التغليب)، وهو كثير في القرآن الكريم وفي لغة العرب.

إذهاب الرجس وقضية التطهير والعصمة

الرجس في اللغة يأتي بمعنى الشيء القذر، قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ سورة المائدة.

والرجس: الخبائث المحرمة الأكل، قال تعالى:

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ ﴾ سورة الأنعام/ ١٤٥.

ونقرأ كتب اللغة، فلا نجد فيها أنّ الخطأ في الاجتهاد يُسمّى رجسا، ولم نجد أنّ إذهاب الرجس يُطلق على العصمة.

أمّا التطهير، فهو من التطهّر، وهو في اللغة بمعنى التنزّه عن الذم وكل قبيح. وذكر ابن العماد عشرة من المعاني للطهارة، وكلها لا تخرج عن الطهارة الحسية

والمعنوية[1].

ونتأمّل بآية التطهير مرّة أخرى، فنراها لا تدل على معنى العصمة، فإنّ الله تعالى يريد تطهير المؤمنين بالآية الكريمة، وهي خطاب لأزواج النبيﷺ، وقد بدأ بهنّ، وختم بهنّ أيضا، قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ سورة الأحزاب.

ونقرأ في القرآن الكريم أيضا قوله تعالى:

﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ

(١) ينظر: كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر لابن العماد ص١٣١-١٣٤، بتحقيق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، الطبعة الأولى، مطابع جريدة السفير، الاسكندرية، مصر.

﴿ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ سورة المائدة.

والمراد بالآية هنا المسلمون كلهم وليس أهل البيت وحدهم.

وقال تعالى:

﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ سورة التوبة.

تتحدث الآية الكريمة في ناس ارتكبوا معصية. وتطهيرهم هنا لا يعني عصمتهم من الذنب. وهنا وصف القرآن هؤلاء بالتزكية فوق وصفهم بالتطهير ﴿ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ فهي وصف لهؤلاء المذنبين الذين ما كانوا في يوم من الأيام بمعصومين، أمّا آية التطهير فاكتفت بالتطهير فقط، وهو أقل مرتبة أو منزلة من التطهير والتزكية، فكيف صار الأقل يوصف بالعصمة؟!!

والتطهير -قبل ذلك وبعده- لا يدلُّ على العصمة. وما مثل التطهير هنا إلا كمثل الإنسان المتقي، فإنّه ليس من شرط أن يتصف بهذه الصفة أن يكون معصوما من الخطأ والذنوب، وقد قال الله تعالى في الصحابة: ﴿ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ سورة التوبة.

واتفق العلماء على أنّ هؤلاء الصحابة الذين نزلت الآيات فيهم غير معصومين.

ولا نجد فرقا بين قول الله تعالى في آية التطهير، وبين قوله تعالى في أهل بدر ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ سورة الأنفال.

والرجس والرجز متقاربان في المعنى. ولفظ (يطهركم) في الآيتين واحد.

ويقف العلامة الآلوسي أمام آية التطهير هذه، فيقرر أنّها لا تفيد العصمة فيقول:

(لو كانت مفيدة للعصمة ينبغي أن يكون الصحابة لا سيما الحاضرين في غزوة بدر قاطبة معصومين لقوله تعالى فيهم: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وقال: ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ وظاهر أنّ إتمام النعمة في الصحابة كرامة زائدة بالنسبة إلى ذينك اللفظين، ووقوع هذا الاتمام أدلّ على عصمتهم؛ لأنّ إتمام النعمة لا يتصوّر بدون الحفظ عن المعاصي وشر الشيطان)[1].

على أنّ كلمة (التطهير) وردت في القرآن الكريم في مريم أم عيسى عليه السلام أيضا فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ سورة آل عمران.

والآية الكريمة هذه صريحة في طهارتها، وزاد على ذلك اصطفاؤها، فكان ينبغي القول على نهجهم بعصمتها، لكنّ علماء الشيعة لا يقولون بعصمتها فضلا عن علماء السنة.

أسئلة تحتاج إلى جواب

١- اللفظ القرآني (أهل البيت) جاء عاما في أهل بيت النبي ﷺ كلهم، ومنهم آل جعفر، وآل العباس، وآل عقيل، فلماذا كان تخصيص أهل البيت بآل علي والآية عامة شاملة؟!

---

(١) تفسير الآلوسي ٢١/٣٠٨، ومختصر التحفة الاثني عشرية لولي الله الدهلوي ص١٥٣، اختصره وهذّبه السيد محمود شكري الآلوسي.

٢- لقد كان لسيدنا علي أولاد من غير فاطمة، فلماذا لم يكونوا معصومين؟

٣- لقد كان الحسن بن علي رضي الله عنهما له أولاد، فلماذا لم يقل الشيعة بعصمتهم مع أنّهم من أهل البيت؟

٤- لماذا كان المعصومون محصورين في ذرّية الحسين دون الحسن رضي الله عنهما؟ فإذا كانت الآية نصا في العصمة، فيكون أهل البيت كلهم معصومين، وإلا فلا دلالة على العصمة.

٥- على أننا حتى لو قلنا جدلا بعصمة الأربعة الذين نصّ عليهم الحديث وهم: علي والحسن والحسين وفاطمة، فكيف انتقلت العصمة إلى من بعدهم؟!

وهكذا تتوالى الأسئلة بعد الأسئلة ولا نجد إجابة مقنعة لها، ويقف الشيعة في حيرة وفي حرج أمامها، وقد تضاربت أقوالهم في الجواب عنها.

الإرادة في آية التطهير

والإرادة في آية التطهير هي إرادة شرعية، فقد جاءت آيات قرآنية كريمة بالسياق نفسه، وكلها في الإرادة الشرعية. فمثل آية التطهير جاء قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ سورة البقرة/ ١٨٥، وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ سورة النساء.

ويعلّق الإمام ابن تيمية على هذا فيقول:

(إرادة الله في هذه الآيات متضمنة لمحبة الله لذلك المراد ورضاه به، وأنه شرعه للمؤمنين وأمرهم به، ليس في ذلك أنه خلق ذلك المراد، ولا أنه قضاه و

قدره، ولا أنه يكون لا محالة، والدليل على ذلك أن النبيﷺ دعا لهم بعد نزول هذه الآية... فلو كانت الآية تتضمن إخبار الله بأنه قد اذهب عنهم الرجس وطهرهم لم يحتج إلى الطلب و الدعاء)(1).

يتضح من كل ما تقدم أنّ آية التطهير لا تفيد عصمة آل البيت، سواء كان المقصود بها زوجات النبيﷺ، أو سيدنا عليا والحسن والحسين وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين.!

حديث الكساء والإمامة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (خَرَجَ النَّبِيُّﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ جاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ ثُمَّ جاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ قَالَ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾)(2).

---

(1) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٧/ ٧١-٧٢ بتحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٤٠٦، دار المكتب الإسلامي.

(2) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب: فضائل أهل بيت النبيﷺ).

هكذا روت السيدة عائشة هذا الحديث، وقد كانت محبة لفاطمة وعلي وذريتهما. ومما روته في الثناء على علي: ما رواه جميع بن عمير التيمي قال: (دَخَلْتُ مَعَ عَمَّتِي عَلَى عَائِشَةَ فَسُئِلَتْ: أَيُّ النَّاسِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِﷺ؟ قَالَتْ: فَاطِمَةُ. فَقِيلَ مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَتْ: زَوْجُهَا إِنْ كَانَ مَا عَلِمْتُ صَوَّامًا قَوَّامًا). رواه الترمذي في كتاب المناقب (باب: ما جاء في فضل فاطمة بنت محمدﷺ) حديث ٣٨٧٤.

وهكذا نجد حديث الكساء الذي شاع وذاع، وهو يرفع من شأن أسرة عليﷺ قد روته الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وعن أم سلمة رضي الله عنها (أنّ النبيﷺ جلل على علي وحسن وحسين وفاطمة كساءا ثم قال: «اللَّهُمَّ هَؤُلاَءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً». فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ يَا رَسُولَ اللهَّ أَنَا مِنْهُمْ قَالَ «إِنَّكِ إِلَى خَيْرٍ»)[1].

هكذا روى أهل السنة أحاديث الكساء، لكنّهم اختلفوا في تفسيرها عن تفسير الشيعة الإمامية لها، فإنّ الإمامية استدلوا بها على الإمامة والعصمة، وأهل السنة لا يقولون بهذا، مستدلين بأنّ الحديث اشتركت فيه السيدة فاطمة مع علي والحسن والحسين رضي الله عنهم. ومعلوم أنّ المرأة لا تصلح للإمامة، فيكون الحديث تبيانا لفضيلة من فضائل أهل الكساء، لعلّ الله تعالى يحقق لهم ما خاطب الله به أزواج النبي صلوات الله وسلامه عليه، فأدخلهم في هذا الشرف. فلا تدل الآية ولا يدل الحديث على عصمة أهل البيت رضي الله عنهم جميعا. وكل ما فيه: أنّ النبيﷺ دعا لهم بإذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم، وهذا الدعاء يحتاجه كل مسلم.

ونقرأ القرآن الكريم فنجد أنّ الله تعالى بيّن فيه أنّ الصدقات التي يأخذها النبيﷺ من الصحابة تطهرهم وتزكيهم بها. كما دعا القرآن الكريم النبيﷺ أن يدعو بالخير لمن يخرج زكاة ماله، فقال تعالى مخاطبا نبيّه محمداﷺ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ سورة التوبة.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم ٢٦٥٩٧، المسند ٤٤/ ٢١٧، والترمذي في كتاب المناقب (باب: ما جاء في فضل فاطمة بنت محمدﷺ) حديث ٣٨٧١.

كما بيّن الله تعالى رحمته بعباده إذ يريد أن يطهرهم فقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾ سورة المائدة.

وهكذا نرى النبي الكريم يدعو لأهل الكساء في هذا الحديث كما دعا لغيرهم أيضا بالجنة والمغفرة، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى، فإنّ الآية الكريمة لم تنزل في أهل الكساء ولا بغيرهم من أقاربه، ولو أنّ الآية نزلت في أهل الكساء لما دعا النبيﷺ لهم ذلك الدعاء الوارد في الحديث؛ إذ كيف يدعو النبي لقوم قد تحقق ما دعا به قبل الدعاء؟!.

لا عصمة في حديث الكساء

ادّعى الشيعة الإمامية أنّ عليا والحسن والحسين وفاطمة﵇ معصومون مطهّرون بنصّ دعاء النبيﷺ لهم، والسؤال الذي يطرح نفسه:

هل كانت عصمتهم قبل دعاء النبي لهم أم بعده؟

فإنْ قالوا: كانوا معصومين قبل الدعاء لهم قلنا: لماذا يدعو النبيﷺ لهم بالعصمة إن كانوا كذلك؟! ألم يكن دعاؤه لهم –عند ذاك– تحصيل حاصل؟.

وإن قالوا: صاروا معصومين بعد دعائه لهم قلنا: لقد انتقضت العصمة؛ لأنّ غير المعصوم لا يصير معصوما حسب قواعد الإمامية؛ إذ المعصوم عندهم معصوم منذ أن خلقه الله.

وهكذا تنتقض العصمة في الحالتين كلتيهما.

وأخيرا:

فإنّ آية التطهير صريحة في أزواج النبي الطاهرات رضي الله عنهنّ، ويوضح

هذا ردُّ النبيﷺ على أمّ سلمة حين طلبت الدخول مع أهل الكساء: «أنت على مكانك وأنت على خَيْرٍ»[1]. فكأنّ النبي الكريم يقول لأمّ سلمة: أنت ممن شملتك آية التطهير؛ **لأنّك** من أمهات المؤمنين، وجاء هذا الدعاء من النبي الكريم ليشمل أهل الكساء بمقاصد آية التطهير. فلو كان أهل الكساء مشمولين بالآية لما دعا النبيﷺ لهم ذلك الدعاء، (ومن قال: إنّ أهل البيت هم أهل الكساء، فهذا ارتقى مرتقىً صعبا بلا هادٍ ولا دليل، بل هذا قول يترتب عليه نسف معنى أهل البيت، والقول بأنّهم آل عليﷺ وليس آل محمدﷺ. وهذا كلام باطل وخطير، وردٌّ لصريح القرآن، وتكذيب للآيات البينات من [٢٨-٣٤] في سورة الأحزاب)[2].

---

(١) رواه الترمذي في كتاب المناقب (باب: في مناقب أهل بيت النبيﷺ) حديث ٣٧٨٧.

(٢) الموقف من الشبهات على أمير المؤمنين علي بن أبي طالبﷺ ص١٠٣.

آية ابتلاء إبراهيمعليه السلام وعصمة الأئمة

يعتقد الشيعة الإمامية أنّ الإمامة والعصمة من أصول الدين، وأنّ النص في إمامة عليرضي الله عنه وعصمته ورد في القرآن الكريم، وقد مرّ بنا ما استدلوا به في القرآن في آية التطهير، ونقض ذلك، وأمّا دليلهم الثاني الذي عوّلوا عليه في العصمة فهو قوله تعالى:

﴿ ۞ وَإِذِ ابْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[1] سورة البقرة.

وفسّروا الآية الكريمة فقالوا إنّ هذه الآية صريحة في لزوم العصمة؛ لأنّ الله تعالى نفى أن ينال عهده –الذي هو الإمامة– ظالم، وكل من لم يكن معصوما..يكون ظالما إمّا لنفسه وإمّا لغيره، ولو لم يكن الإمام معصوما لافتقر إلى إمام يسدده، وعند ذاك لم تستقم هدايته ولم تتضح حجته، وكان كغيره من العلماء.!

ويتحدث الإمام الطبرسي في تبيان وجهة استدلال أصحابه بهذه الآية على مرادهم فيقول:

(استدل أصحابنا بهذه الآية على أن الإمام لا يكون إلا معصوماً عن القبائح؛ لأن الله –سبحانه– وتعالى نفى أن ينال عهده الذي هو الإمامة ظالم، ومَنْ ليس

---

(١) صدر المجلسي هذه الآية بشأن عصمة الأئمة في بابه الذي يحمل هذا العنوان: (باب...لزوم عصمة الإمام) في كتابه: (بحار الأنوار). وهناك كثير من شيوخ الشيعة المعاصرين جعلوا أول استدلالاتهم على العصمة هذه الآية، ومن هؤلاء: محسن الأمين، ومحمد حسين آل كاشف الغطاء.

بمعصوم فقد يكون ظالماً إما لنفسه وإما لغيره...)[1].

ويقول السيد عبد الله شُبّر في تفسير الآية:

(دلت -الآية- على وجوب عصمة النبي والإمام؛ لصدق الظالم على العاصي، سواء فُسّر بانتقاص الحق، أو بوضع الشيء في غير موضعه)[2].

ويقول محمد جواد مغنّية في تفسير الآية:

(ويدل هذا على أنّ الإمام يجب أن يكون معصوما)[3].

واعتمادا على هذه الآية قال من قال من أئمتهم: إنّ الأئمة أفضل من الأنبياء والمرسلين غير خاتمهم محمدﷺ، وأنّ الإمامة فوق النبوة؛ ودليلهم الآية التي نتحدث فيها، فإنّ سيدنا إبراهيمعليه السلام لم ينل مرتبة الإمامة إلا بعد النبوة؛ فاستدلوا بذلك على أنّ الإمامة أفضل من النبوة.!!!

وقبل أن نناقش ما استدل به الشيعة الإمامية بالآية على عصمة الأئمة الاثني عشر نقول: إنّ كل من له معرفة بلغة القرآن، يرى أنّ معنى الآية واضح. ومع هذا فيحسن أن أذكر تفسير الآية قبل الرد على ما ادعوه.

المعنى العام للآية

عاش النبي محمدﷺ في مكة وفي المدينة داعيا إلى توحيد الله، وقد عجّت الجزيرة العربية بالشرك هنا وهناك، وكان المشركون يزعمون أنّهم على دين إبراهيمعليه السلام: وهو الجد الحادي والثلاثون لنبينا محمدﷺ، لكنّهم كانوا يعبدون

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن للفضل بن الحسن الطبرسي ١/ ٣٤٩.

(٢) تفسير القرآن الكريم، تأليف السيد: عبد الله شُبّر ص٦٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) التفسير المبين لمحمد جواد مغنية ص٢٥، طبع سنة ١٩٧٨، دار التعارف، بيروت.

الأصنام والأوثان التي حطمها سيدنا إبراهيم، ويشركون مع الله آلهة أخرى. أمّا أهل الكتابين -اليهود والنصارى- فكانوا ينتحلون ملة إبراهيم وهم أبعد ما يكونون عنها. فأراد الله تعالى أن يبيّن صلة العرب بإبراهيم، فجاءت الآية الكريمة يخاطب الله بها خاتم أنبيائه ورسله محمدا بن عبد الله ﷺ، طالبا منه أن يذكّر المشركين وأهل الكتاب بنبي الله إبراهيم عليه السلام..ذلك النبي الذي امتحنه الله بتكليفه بأشياء هي أوامر ونواه: افعل كذا ولا تفعل كذا. واختبار الله تعالى لسيدنا إبراهيم ولغيره ليس عن جهل بما سيكون، ولكن لإظهار واسع علمه عز وجل بما سيكون، وليعلم البشر كيف يصطفي الله عباده الذين يتولون قيادة الناس، والابتلاء يكون بالضراء ليصبر وبالسراء ليشكر، وفي كلتا الحالتين يثيبه الله الثواب الأوفى حين ينجح في الامتحان.

وفي الابتلاء لون من ألوان التربية وتقوية العزيمة أيضا. ويدخل سيدنا إبراهيم الامتحان وينجح فيه، فيقوم بأداء تلك التكاليف خير قيام: فهاجر من داره وهمّ بذبح ولده إسماعيل، وأُلقي في النار وهو ثابت الجنان، مطمئن القلب لم يتراجع، وقام برفع قواعد البيت الحرام...فاستحقّ هذا المنصب العظيم - منصب الإمامة- ليكون قدوة للصالحين في أقواله وأفعاله وأحواله. لذلك أجمع أهل الأديان على تعظيمه، وكل مسلم يقول في آخر صلاته: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

وبعد أن استحق سيدنا إبراهيم هذا المنصب بدت رغبته في أن تكون الإمامة في ذريته، فهو يريد الخير لأولاده وأحفاده، وهذا من طبيعة البشر..فيأتيه الرد

من رب العالمين بأنّ ذريته سيكون منها الصالح والطالح، والعادل والظالم، وهذا من الغيب الذي يعلمه الله: فلا ينال عهد الله: وهو الاستخلاف في النبوة الظالمون؛ لأنّ النبوة لا ينالها من دنّس نفسه بالظلم ولم يتب منه.

وتمم الله نعمه على إبراهيم بأن جعل الأنبياء الذين جاءوا من بعده من ذريته، وادّخر أعظم عهد بالإمامة لخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمدﷺ، وهو النبي الوحيد من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما وعلى نبينا محمدﷺ السلام.!

العصمة من الظلم والإمامة

ننظر في شروط الإمام المعصوم لدى الشيعة الإمامية، فنراهم متشددين فيها، حتى قالوا: يجب ألا يقع من الإمام المعصوم في حياته كلها أيّ ذنب كان، فلو وقع منه ذنب - ولو لفترة قصيرة- لا يكون إماما ولا معصوما حتى لو تاب من ذنبه! فهل لما شرطته الشيعة الإمامية أدلة معتبرة من القرآن الكريم أو من أحاديث النبيﷺ أو من أقوال من يُعتدُّ بأقواله؟

نتأمّل في كل ما قالوه، فلا نجد دليلا واحدا معتبرا على ما ادّعوه، بل على العكس من ذلك، فهناك أدلة كثيرة على خلاف ما قالوه من القرآن الكريم، ومن السنة الصحيحة للنبيﷺ، وهذه ثلاثة أمثلة لما ورد في القرآن الكريم:

١ - آدمعليه السلام: اصطفى الله سيدنا آدمعليه السلام فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ سورة آل عمران. وقد نهاه الله وزوجه عن الأكل من شجرة معينة. وبعد أن وسوس له الشيطان أكل منها فوقع بالخطيئة فصار ظالما بنصّ القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا

﴿ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ سورة البقرة.

وقد وسوس الشيطان لآدم من باب حب البقاء، وقد خُلق مفطورا عليه فنجح في وسوسته بعد أن جاءه في صورة الناصح الأمين، فأكلا من الشجرة **فكانا من الظالمين**، وورد ذلك في عدة مواضع في القرآن الكريم. وبعد ذلك تاب إلى الله واستغفر وأناب، واعترف هو وزوجه بذلك، فحكى الله قولهما:

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ سورة الأعراف. فتاب الله عليهما.

٢- موسى عليه السلام: وجد سيدنا موسى رجلين يقتتلان أحدهما إسرائيلي من قومه، والآخر قبطي من أهل مصر، واندفع موسى بشعور من الغضب لنصرة الذي من شيعته على الذي من عدوّه، فوكزه موسى فقضى عليه، قال الله تعالى متحدثا عن سيدنا موسى:

﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ سورة القصص.

وهنا نجد سيدنا موسى عليه السلام يعترف بارتكابه الظلم حين قتل تلك النفس، فدعا ربّه أن يغفر له فغفر له. فلو كان النبي معصوما عصمة مطلقة لما قتل، ومعروف أنّه لا ذنب أعظم –بعد الشرك بالله– من القتل.

٣- يونس عليه السلام: وهو رسول من رب العالمين، أرسله الله إلى مائة ألف أو يزيدون في أهل نينوى، ودعاهم إلى الله فلم يستجيبوا له، فغاضب قومه وخرج

من بينهم من غير أن يأذن الله له بالخروج؛ فعاقبه الله بالتقام الحوت له، قال تعالى:

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ سورة الأنبياء.

وهنا يعترف سيدنا يونس بظلمه حين ترك قومه، لكنّه حين تاب، تاب الله عليه.

لا يلزم أن يكون غير الظالم معصوما

كل من يتأمّل بكلٍ من العصمة والظلم، لا يجد تلازما بينهما، فإنّ من انتفى عنه وصف الظلم لا يلزم أن يكون معصوما، لأنّ نفي الظلم هو إثبات للعدل وليس للعصمة، والآية الكريمة التي نتحدّث فيها نفت أن ينال الظالم عهد الله، ولم تشترط أن يكون معصوما، فلا تلازم بينهما، ولا نجد نصّا صريحا يقول بالتلازم، وقد كانت عمدة الشيعة أنّ لفظ (الظالمين) يشمل كل من صدر منه ظلم، شركا كان أو معصية حتى لو تاب منها وأصلح، وهذا من أعجب العجب.! يقول الشيخ الطباطبائي:

(إنّ المراد بالظالمين في قوله تعالى ﴿ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ مطلق من صدر عنه ظلم ما من شرك أو معصية، وإن كان منه في برهة من عمره ثم تاب وصلح)[1].!!!

وهذا الرأي من المفسّر الشيعي -وهو رأي أكثر علماء الشيعة إن لم نقل كلهم- غير مسلّم به.

---

(١) تفسير الميزان تأليف محمد حسين الطباطبائي ١/ ٢٦٩-٢٧٠، صححه وأشرف على طباعته: الشيخ حسين الأعلمي، الطبعة الأولى ١٤١٧-١٩٩٧، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

وأوّل ما ينبغي أن نقف عنده أنّ الإنسان لا يوصف بأنّه ظالم إلا إذا كان مقيما على الظلم، وأمّا من تاب وأصلح فلا يُسمّى ظالما، ولو أنّ كل من ظلم ثم تاب ظلّ اسم الظلم يلاحقه لما دخل أحد الجنة، والله تعالى يقول:

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ سورة الكهف/ ٢٩.

على أنّ الإنسان حتى لو كان كافرا ثمّ أسلم، فإنّه لم يبق عليه ذنب ولا يُوصف بالظلم، وقد قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ سورة الأنفال/ ٣٨.

ولقد أخبرنا النبيﷺ أنّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وقد أخبرنا اللهﷻ أنّ التائب يبدّل الله سيئاته حسنات فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ سورة الفرقان/ ٦٨-٧١.

خطأ استدلالهم بالآية

يدّعي الشيعة أنّ المراد بالإمامة والعهد في هذه الآية هي الخلافة، وأنّ الآية نصٌّ من الله تعالى على أنّ الظالم لا ينالها ولو وقع الظلم منه مرّة واحدة، فوجب أن يكون معصوما من الظلم لنفسه ولغيره.

وهذا الاستدلال ليس بصحيح للأسباب الآتية:

١- أنّ المراد بالإمامة إمّا أن تكون النبوة أو إمامة العلم والصلاح

والاهتداء. فهي إذن ليست الخلافة.

٢- ذكرنا أنّ الظالم إذا تاب من ظلمه لا يُسمّى ظالما لأنّ التوبة الصحيحة تجبُّ ما قبلها؛ فيجوز له أن ينال عهد الله، فليس في نفي الظلم ما يقتضي العصمة الدائمة.

٣- استدلالهم بالآية استدلال مقلوب؛ ذلك لأنّهم افترضوا صحة النتيجة ثم صاروا يبحثون عن مبررات لها، فافترضوا أن الأئمة عيّنهم الله بالاسم، وبذلك قد نالوا عهد الله، وبهذا برئوا من أي ظلم كان.!!

٤- لا يُنفى الظلم عن إنسان ما إلا إذا بلغ سنّ التكليف، والشيعة ادّعوا العصمة لأئمتهم لمن كان في سنّ الطفولة، بل لمن لم يوجد بعد.

تفضيل الأئمة على الأنبياء

لم يمض الزمان بعد الزمان حتى نرى عقيدة العصمة تأخذ طريقها في الغلو أكثر وأكثر. ويزداد ذلك الغلو حتى يخلع الشيعة على الأئمة الذين يقولون بعصمتهم صفات الألوهية، ويفضلونهم على الأنبياء، مدّعين أنّ الأنبياء ليست لهم عصمة مطلقة لأنّهم بشر؛ ولأنّ الله تعالى عاتب قسما منهم. فلو أنّ الإمامة كانت مساوية للنبوة أو أقل منها لما كان الإمام معصوما.!! وانطلق علماؤهم ومشايخهم يؤلفون الكتاب بعد الكتاب مقررين فيها تفضيل أئمتهم على الأنبياء. وكمثال على ذلك كتابان اثنان كتبهما هاشم البحراني المتوفى سنة ١١٠٧هـ: الأوّل بعنوان (تفضيل الأئمة على الأنبياء)، والثاني بعنوان: (تفضيل علي عليه السلام على أولي العزم من الرسل). أمّا محمد كاظم الهزّار، فقد كتب كتابه: (تفضيل الأئمة على غير جدهم من الأنبياء)، وكتب محمد باقر المجلسي كتابه: (تفضيل أمير المؤمنين

علي على من عدا خاتم النبيين)[1].

وليست هذه عقيدة المجلسي وحده بل هي العقيدة المعتمدة لدى الشيعة[2].

يقول نعمة الله الجزائري:

(اعلم أنه لا خلاف بين أصحابنا رضوان الله عليهم في أشرفية نبينا على سائر الأنبياءعليهم السلام للأخبار المتواترة، وإنما الخلاف في أفضلية أمير المؤمنين والأئمة الطاهرينعليهم السلام على الأنبياء ما عدا جدهم. فذهب جماعة إلى أنهم أفضل من باقي الأنبياء ما خلا أولي العزم؛ فإنهم أفضل من الأئمةعليهم السلام، وبعضهم إلى المساواة، وأكثر المتأخرين إلى أفضلية الأئمةعليهم السلام على أولي العزم وغيرهم وهو الصواب)[3].

ومن افتراءاتهم في تفضيل الأئمة على الأنبياء والمرسلين بما فيهم رسول اللهﷺ ما ينسبونه كذبا إلى جعفر الصادق أنّه قال:

(إنّ عندنا والله سرا من أسرار الله، وعلما من علم الله، والله ما يحتمله ملكٌ مقرّب ولا نبي مرسل)[4].

وذهب هذا المذهب الخميني نفسه فقال:

(..وإنّ من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل... وقد ورد عنهمعليهم السلام -أي عن أئمتهم- أنّ لنا مع الله حالات لا يسعها

(١) بحار الأنوار (باب: تفضيل الأئمة على الأنبياء) وباب: (إنّ دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بهم)، وينظر: الأدلة العقلية على هدم دين الإمامية ص١٩٦.

(٢) الأدلة العقلية على هدم دين الإمامية ص١٩٧.

(٣) الأنوار النعمانية، تأليف: نعمة الله الجزائري ١/ ٢٠-٢١، نقلا عن كتاب: الشهب الثاقبة على الشيعة المارقة ص٢٥، إعداد ممدوح الحربي، الطبعة الأولى ١٤٢٧.

(٤) أصول الكافي في كتاب الحجة (باب: فيما جاء أنّ حديثهم صعب مستصعب) ١/ ٣٣١.

ملك مقرب ولا نبي مرسل. ومثل هذه المنزلة موجودة لفاطمة الزهراء عليها السلام)[1].

عقيدة ختم الأنبياء ومسألة العصمة

ختم النبوة بسيدنا محمدﷺ هي عقيدة كل مسلم، وقد جاءت بنصوص قطعية الثبوت والدلالة. فشريعته خاتمة الشرائع، وقد جاءت إلى الناس كافة، وهو صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء والمرسلين، قال الله تعالى:

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة الأحزاب.

وقالﷺ: «وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي»[2].

وقال:

«مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قال: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»[3].

فمحمدﷺ خاتم النبيين وهو خاتم المرسلين أيضا؛ لأنّ ختم الأعم يستلزم ختم الأخص.

وننظر من ناحية أخرى، فنجد أنّ النبيﷺ أرسله الله إلى الناس كافة، قال

---

(١) الحكومة الإسلامية، تأليف روح الله الخميني ص٤٧-٤٨.

(٢) رواه الإمام أحمد في باقي مسند الأنصار، رقم ٢١٣٦١، وأبو داؤد في كتاب الفتن والملاحم رقم ٣٧١٠، والترمذي في كتاب الفتن رقم ٢١٤٥.

(٣) رواه مسلم في كتاب الفضائل (باب: ذكر كونهﷺ خاتم النبيين) ٤/ ١٧٩١.

تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة سبأ.

فإذا كانت رسالتهﷺ للناس كافة، فلابد أن تكون هذه الشريعة تامة كاملة لا تحتاج إلى غيرها، فلا نبوة بعد نبوته، ولا رسالة بعد رسالته.

وننظر إلى الأوصاف التي وصف الشيعة الإمامية أئمتهم بها، فنراها تصل إلى درجة الأنبياء، وقد تفوق الأنبياء والرسل عند قسم منهم، وهذا مما يتعارض كل التعارض مع عقيدة ختم الأنبياء بمحمدﷺ.

أيموت الإمام المعصوم منتحرا؟!

وردت في كتاب الكافي أبواب عدة تتحدّث عن علم الأئمة الذي لا يعلمه غيرهم، ومن تلك الأبواب: (باب: إنّ الأئمة يعلمون متى يموتون، وأنّهم لا يموتون إلا باختيار منهم)[١].

(باب: أنّ الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنّه لا يخفى عليهم شيء)[٢].

(باب: انّ الأئمة لو سُتر عليهم لأخبروا كل امرئ بما له وما عليه)[٣].

والأحاديث التي وردت في الكافي متحدثة عن علم الأئمة الذي لا يعلمه حتى الأنبياء والرسل كثيرة. فهم يدّعون أنّ أئمتهم يعلمون كل شيء، ظاهره وباطنه لا يخفى عليهم شيء منه، وهذا العلم عام شامل للماضي والحاضر

---

(١) الأصول من الكافي ١/ ٢٥٨.

(٢) الأصول من الكافي ١/ ٢٦٠.

(٣)الأصول من الكافي ١/ ٢٦٤.

والمستقبل. وعلى هذا فإنّ الإمام يعرف متى يموت وكيف يموت. ونقرأ عمّا دبجه علماء الشيعة عن أئمتهم فنراهم ينصون على أنّ تسعة من المعصومين ماتوا مسمومين، فهل كان هؤلاء الأئمة الذين يُقال بعصمتهم عالمين بالغيب أم جاهلين به؟

فإنْ قالوا: إنّهم لا يعلمون الوسيلة التي يموتون فيها، قلنا: لقد انتفت صفة معرفة الأئمة بالغيب التي نصّوا عليها في أهم مصادرهم.

وإن قالوا: كانوا يعلمون أنّهم يشربون الشراب المسموم أو الطعام الذي دُسّ فيه السم، وأكلوا ذلك أو شربوه عن علم. قلنا: يكون المعصوم عند ذاك منتحرا، ومعلوم حكم من يُقدم على الانتحار.

ويذكر علماء الشيعة أنّ تسعة من أئمتهم المعصومين ماتوا بالسم بدءا بالإمام الحسن بن علي وانتهاءا بالحسن العسكري والد الإمام المنتظر عندهم، وهذه هي أسماؤهم:

١ – الحسن بن علي بن أبي طالب مات سنة ٥٠هـ.

٢ – علي بن الحسين –زين العابدين– السجّاد مات سنة ٩٤هـ.

٣– محمد بن علي الباقر مات سنة ١١٤هـ.

٤ – جعفر بن محمد الصادق مات سنة ١٤٨هـ.

٥ – موسى بن جعفر الكاظم مات سنة ١٨٣هـ.

٦ – علي بن موسى الرضا مات سنة ٢٠٣هـ.

٧– محمد بن علي الجواد مات سنة ٢٢٠هـ.

٨– علي بن محمد الهادي مات سنة ٢٥٤هـ.

٩- الحسن بن علي العسكري مات سنة ٢٦٠هـ.

هؤلاء الأئمة التسعة المعصومون -كما يدّعي الشيعة الإمامية- ماتوا بالسم، واثنان فقط هما اللذان استشهدا: سيدنا علي بن أبي طالب، وولده الحسين بن علي رضي الله عنهما. أمّا الإمام المنتظر محمد بن الحسن بن علي العسكري، فهو في عقيدة الشيعة قد اختفى عن الأنظار.!!

ونعيد السؤال مرّة أخرى: أكان هؤلاء الأئمة التسعة الذين يُقال بعصمتهم يعلمون أنّ موتهم يكون بالسم ومع ذلك تناولوه؟ أم أنّهم كانوا لا يعلمون؟

فإن كانوا عالمين بالسم وأكلوه كانوا منتحرين، وإن لم يعلموا فقد انتفت عنهم صفة معرفتهم بالغيب.!

من نواقض عقيدة عصمة الأئمة[1]

من شروط الإمامة عند الشيعة الإمامية عصمة الأئمة. والعجيب كل العجب أن نرى كتب الشيعة الإمامية مليئة بالمواقف المتناقضة التي يعترفون بصحتها وينسبونها إلى أئمتهم، وهي تدل دلالة واضحة لا لبس فيها على خطأ الإمام أو سهوه أو نسيانه، وهذه أمثلة على ذلك:

١- يعتقد الشيعة بعصمة سيدنا علي بن أبي طالبﷺ، ويعترفون بأنّه زوّج ابنته أم كلثوم -وهي شقيقة الحسن والحسين- من عمر بن الخطابﷺ. وهنا نقف أمام أمرين:

---

(١) عن كتاب: الأدلة العقلية على هدم دين الإمامية، تأليف حازم بن طه بن إسماعيل ص١١٨-١٢٣ بتصرّف واختصار، الطبعة الأولى ١٤٣١-٢٠١٠، مكتبة دار الحكمة، القاهرة.

الأوّل: إنّ عليا غير معصوم لأنّه زوّج ابنته من كافر كما يزعمون. وإذا رفعت العصمة عنه فترفع عن غيره من الأئمة الذين يقال بعصمتهم ممن جاء بعده.

الثاني: كان عمر بن الخطاب ﷺ في الذروة من الإيمان والقمة من العلم والخلق، فارتضاه زوجا لابنته. فيكون سيدنا علي قد كذّب شيعته في تكفير عمر[1].

٢- يزعم الشيعة أنّ أبا بكر وعمر وعثمان كانوا كفارا، لكننا نجد عليا وهو الإمام المعصوم عندهم قد رضي بخلافتهم وبايعهم الواحد تلو الآخر، ولم يخرج عليهم. وكان يصلي خلفهم فكيف يفعل ذلك إذا كان الخلفاء الثلاثة كفارا؟ وهذا -بلا شك- خارم للعصمة.

أمّا إذا كان فعل علي صوابا لأنّهم خلفاء مؤمنون عادلون صادقون، فيكون الشيعة قد خالفوا عليا في تكفيرهم وسبّهم..فهل يسلك العقلاء من الشيعة سبيل علي ﷺ أم سبيل شيعته العاصين؟!

ولا يقولنّ أحد إنّ عليا بايعهم تقية، فإنّ ذلك شأن الجبناء، وعليٌّ معروف بشجاعته التي سارت بذكرها الركبان. ولو كان هناك نص على إمامته لأعلمهم

(١) العجيب أن يذكر الكليني طعنا في سيدنا علي ﷺ، فروى عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام في تزويج أم كلثوم فقال: إنّ ذلك فرج غُصبناه (الكافي للكليني الفروع ٥/ ٣٤٦).

عجبا عجبا!! كيف ينسبون الجبن لسيدنا علي الذي سارت بذكر شجاعته الركبان، فيتزوّج عمر من ابنة علي غصبا عنه؟!

إنّها الإساءة لمن يقولون بعصمته.

به ولامتنع عن البيعة لأي واحد كان منهم. ولو أنّ الخلفاء الثلاثة اغتصبوا الخلافة، فلماذا لم يعلن ذلك بعد أن بويع بالخلافة؟!!

٣- جاء في كتاب (نهج البلاغة) أنّ أمير المؤمنين عليا استعفى من الخلافة وقال: (دعوني والتمسوا غيري)[١]. فإذا كان النبي محمدﷺ قد نصّبه خليفة من بعده بأمر الله -كما يدّعون-، فكيف يستعفي منها ولا يطيع أمر الله ورسوله؟! ألا يدل هذا على عدم وجود نصّ على إمامته. وعلى هذا فإنّ سيدنا عليا إما أن يكون غير معصوم، وإمّا أن يكون النصّ على إمامته لا وجود له أصلا.

٤- بويع الحسن بن علي بعد استشهاد والده بالخلافة، وبقي خليفة للمسلمين ستة أشهر أو يزيد، ثم تنازل عن الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان، الذي يزعم الشيعة أنّه كافر. وفعل الحسن وهو المعصوم لدى الشيعة إمّا أن يكون صوابا أو خطأً: فإن كان صوابا لزم أن يكون معاوية مسلما، ولزم عدم النصُّ على الحسين بعده، وإن قالوا خطأً لزم تخطئة المعصوم فتبطل عصمته. ولو صححوا فعله لدلّ ذلك على عدم حصر الإمامة في الاثني عشر من الأئمة.

٥- يدعي الشيعة أنّ غيبة الإمام الثاني عشر في السرداب هو الخوف من الظلمة. فلماذا استمرت هذه الغيبة على الرغم من زوال هذا الخطر بقيام عدد من الدول الشيعية على مرّ التاريخ كالعبيديين والبويهيين والصفويين ثم إيران المعاصرة، ويستطيع الشيعة نصره وحمايته وهم يفدونه بأرواحهم؟

ثمّ لماذا يخاف من الظلمة وهو الإمام المعصوم بزعمهم، ويعلم الغيب، ويعلم متى يموت وكيف يموت؟ أولم يناقض ذلك الخوف عصمة إمامهم؟

---

(١) نهج البلاغة ١٧٢-١٧٣.

٦- حديث الكساء شمل أربعة أنفس من بيت سيدنا (علي) بالتطهير، وقد دخل بعض أولادهم في التطهير، فأصبحوا أئمة، وأخرج بعضهم، فقد حصرها الشيعة في أولاد الحسين، وجعلوهم هم الأئمة، واستبعدوا أولاد الحسن؛ لأنّ تنازل الحسن لمعاوية قد وضع الشيعة في موقف حرج، على الرغم من أنّ الحسن هو (الإمام الثاني) وهو الأكبر سنا من الحسين وأولاده كُثر، فضلا عن كونه أشبه الناس بالنبي خلقا، ولو يملك الرافضة استبعاد الحسن من الإمامة لفعلوا، لكنّه ابن سيدنا علي وفاطمة وأحد أهل البيت.

٧- ذكرت كتب الشيعة أنّ أبا بكر بن علي بن أبي طالب -وهو أخو الحسين- كان ممن قُتل مع أخيه في كربلاء، وقد قُتل للحسين -أيضا- ولده أبو بكر، وكذلك محمد الأصغر ويُكنّى بأبي بكر[1]، وتخفي الشيعة هذا وتركّز على مقتل الحسين. فإذا كان أبو بكر الصديق قد اغتصب الخلافة، وكان بين آل البيت والصحابة عداوة، فلماذا يسمي الأئمة الذين يُقال بعصمتهم أولادهم بأسماء أبي بكر وعمر وعثمان، وقد سمّى علي بن أبي طالب ولدا له باسم أبي بكر وكذلك الحسين رضي الله عنهما: فإمّا أن يكون سيدنا علي وسيدنا الحسين مصيبين أو مخطئين، وفي الحالتين تبطل عقيدة العصمة.

نصوص في نقض عقيدة العصمة من المعصومين أنفسهم تزيد الأمر وضوحا

ذكرنا -فيما مضى- أدلة تنقض عقيدة عصمة الأئمة، مبينين أنّها لا تستند إلى دليل من كتاب الله وسنة رسوله ولا من لغة العرب، ونزيد الأمر وضوحا فنقول:

---

(١) ينظر: مقاتل الطالبيين للأصفهاني ص٨٨، ١٨٨، ١٤٢، كشف الغمة ٢/ ٦٦.

١- نقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ سورة النساء.

فلو وجد معصوم غير القرآن والنبيﷺ فيما يبلغه عن الله، لأمرنا الله عند التنازع بالرد إليه، وهذا دليل واضح من القرآن الحكيم على عدم وجود إنسان معصوم غير الرسولﷺ فيما يبلغه عن الله.

وننظر في القرآن الكريم مرّة أخرى فنجد قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ سورة النساء.

ونجد الآية الكريمة هنا لم تشترط طاعة المعصوم، بل اكتفت بطاعة الله وطاعة رسولهﷺ.

٢- نقرأ في (نهج البلاغة)، فنجد فيه سيدنا عليا بن أبي طالبؓ ينفي العصمة عن نفسه، فكان يقول في دعائه: (اللّهمّ اغفر لي ما أنت أعلم به منّي، فإن عدت فعد عليّ بالمغفرة، اللّهمّ اغفر لي ما وأيت من نفسي ولم تجد له وفاء عندي، اللّهمّ اغفر لي ما تقرّبت به إليك بلساني، ثم خالفه قلبي، اللّهمّ اغفر لي رمزات الألحاظ، وسقطات الألفاظ، وشهوات الجنان، وهفوات اللّسان)[1].

ونجد أمير المؤمنين عليا هنا يقرُّ بالذنب، وبالعودة إليه بعد التوبة...وهذا مما

---

(١) نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده ١/ ١٣٤، بتحقيق: أحمد جاد، الطبعة الأولى ١٤٢٧- ٢٠٠٦، دار الغد الجديد، القاهرة.

يتنافى والقول بالعصمة. وقد نُقل مثل هذا الكلام عن كل أئمتهم الذين يقولون بعصمتهم. وهذا مما جعل شيوخهم يقفون موقف حيرة أمام نصوص واضحة تنفي العصمة عنهم.

وجاء في (نهج البلاغة) على لسان سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ قوله:

(لا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقالاً في حق قيل لي، ولا التماس إعظام النفس، فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل، فإنّي لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي)[1].

ونجد في هذا النصّ أنّه ﷺ لا يدّعي أنّه لا يخطئ، وقد نصّ على أنّه لا يأمن على نفسه من الخطأ، وكان يطلب المشورة، وينصّ نصا صريحا واضحا على أنّه ﷺ ليس بفوق أن يخطئ.

ونقرأ في (نهج البلاغة) –أيضا– أنّ سيدنا عليا لا يشترط العصمة في الأمير، معللا أنّ نصب أمير تناط به مصالح العباد أمر لابد منه، سواء كان برّا أو فاجرا، ولم يقل لابد أن يكون الأمير معصوما فقال:

(لابدّ للنّاس من أمير برّ أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السّبل، ويؤخذ به للضّعيف من القوي)[2].

وهذا نصٌّ صريح واضح من سيدنا علي ﷺ على أنّ الأمير قد يكون فاجرا ومع ذلك يعمل المؤمن في إمرته.

---

(١) نهج البلاغة ص٣٤٠.

(٢) نهج البلاغة ص١٠٧.

ومن دعائه عليه السلام:

(اللهم إنّك أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيرا مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون)[1].

وأوصى عليه السلام ابنه الحسن فقال:

(أي بني، إنّي لما رأيتني قد بلغت سنا، ورأيتني أزداد وهنا، بادرت بوصيتي إليك، وأوردت خصالا منها قبل أن يعجل بي أجلي دون أن أُفضي إليك بما في نفسي، وأن أنقص في رأيي كما نقصت في جسمي، أو يسبقني إليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا فتكون كالصعب النفور...)[2].

(إن أشكل عليك شيء، فاحمله على جهالتك به، فإنك أول ما خلقت جاهلا ثم علمت وما أكثر ما تجهل من الأمر ويتحير فيه رأيك ويضل فيه بصرك...)[3].

(يا بنيّ! اجعل نفسك ميزانًا فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تظِلم كما لا تحب أن تُظلم، وأحسن كما تحبّ أن يحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم وِإن قلّ ما تعلم، ولا تقل ما لا تحبّ أن يقال لك)[4].

إنّ وصية سيدنا علي لولده الحسن رضي الله عنهما تتعارض مع مفهوم

---

(١) التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي ص١٧٣.

(٢) نهج البلاغة ص٣٤٣.

(٣) نهج البلاغة ص٣٤٥.

(٤) نهج البلاغة ص٣٤٧.

العصمة التي يدعيها القوم لأئمتهم، فلم يدع سيدنا علي العصمة له ولا لغيره.
وتشير روايات كثيرة إلى أنّه‎ﷺ تراجع عن فتاوى في عدد من الأقضية التي قضى بها، وخالفه فيها جماعة من المسلمين: (منها اختلاف قوله في أمهات الأولاد، وقال بشيء ثم رجع عنه. وقضى في الجد بقضايا مختلفة مع قوله [من أحب أن يتقحم جراثيم جهنّم فليقل في الجد] وندم على إحراق المرتدين بعد الذي بلغه من فتيا ابن عباس. وجلد رجلاً في الخمر ثمانين فمات فوداه وقال: [وديته لان هذا شيء جعلناه بيننا]. وهو كان أشار على عمر‎ﷺ بجلد ثمانين في الخمر ورأى الرجم على مولاة حاطب، فلما سمع قول عثمان‎ﷺ: [إنما يجب الحد على من يعرفه]، وهذه لا تعرف -وكانت أعجمية- تابعه، ونازعه زيد بن ثابت في المكاتب فأفحمه)[1].

ونقرأ عن علي بن الحسين‎ﷺ، فنراه ينفي العصمة عن نفسه فيقول:

(وقد ملك الشيطان عناني في سوء الظن وضعف اليقين، وإني أشكو سوء محاورته لي وطاعة نفسي له)[2].

وهذا الكلام مناف للعصمة في حالتي صدقه أو عدم صدقه.

ومن أدعيته‎ﷺ:

(مولاي ارحم كبوتي لحرّ وجهي وزلة قدمي، وعد بحلمك على جهلي، وبإحسانك على إساءتي؛ فأنا المقرُّ بذنبي، المعترف بخطيئتي)

---

(١) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٣٠١-٣٠٢، حققه: سليم عيد الهلالي، الطبعة الثالثة ١٤٣٣-٢٠١٢، دار ابن القيّم في السعودية، ودار ابن عفان في مصر.

(٢) مختصر التحفة الاثني عشرية ص١٢١.

(أنا الذي أوقرت الخطايا ظهره، وأنا الذي أفنت الذنوب عمره، وأنا الذي بجهله عصاك).

(اللهم إنّي أعوذ بك من هيمان الحرص وسورة الغضب...ومتابعة الهوى، ومخالفة الهدى، وسنة الغفلة، وتعاطي الكلفة، وإيثار الباطل على الحق، والإصرار على المآثم، والاستكثار من المعصية)

(اللهم إنّي أتوب إليك من كبائر ذنوبي وصغائرها، وبواطن سيئاتي وظواهرها)[1].

ويروى عن جعفر الصادقﷺ قوله:

(إنّي لأخجل من أفعالي إلى حد أنني استحيي من مواجهة جدي يوم القيامة)[2].

وكانﷺ يقول:

(إنّا لنذنب ونسيء، ثم نتوب إلى الله متابا)[3].

أمّا موسى الكاظمﷺ، فكان يقول:

(ربّ عصيتك بلساني، ولو شئت وعزّتك لأخرستني، وعصيتك ببصري ولو شئت لأكمهتني [أي كففت بصري]، وعصيتك بسمعي ولو شئت وعزّتك لأصممتني، وعصيتك بيدي ولو شئت وعزّتك لكنعتني [أي: لشللت يدي]،

---

(١) التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي لمحمد البنداري ص١٧٥، نقلا عن الصحيفة السجادية لزين العابدين علي بن الحسين في الصفحات ٨، ٤٤، ٣١، ٨٢.

(٢) الصلة بين التصوّف والتشيّع للدكتور: كامل مصطفى الشيبي ص١٩٩، دار الأندلس، بيروت.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ٢٥/ ٢٠٧ و٣٥١.

وعصيتك بفرجي ولو شئت وعزّتك لأعقمتني، وعصيتك برجلي ولو شئت وعزّتك لجذمتني، وعصيتك بجميع جوارحي التي أنعمت بها عليّ...)[1].

ولقد وقف شيوخ الشيعة في حيرة من أمرهم أمام هذه النصوص وغيرها، وهي تتنافى وما يدّعونه من عصمة الأئمة.

ولا يقولنّ أحد إنّ موسى الكاظمﷺ كان يدعو بهذا الدعاء ليعلّم الناس هذا الدعاء؛ لأنّه كان يقول هذا في صلاته بالليل وليس عنده من يُعلّمه.

ولا يقولنّ أحد –أيضا– إنّ هذا كان من باب التواضع، فنقول: مع مَنْ يكون هذا التواضع.؟!!

٣- ومما يبطل العصمة: ذلك التناقض في مواقف من يسمونهم (المعصومين)، وهذا مما لا يجوز أن يقع؛ لأنّ أقوال المعصومين وأفعالهم يجب أن يُصدّق بعضها بعضا، فإذا وقع الاختلاف كان ذلك ناقضا للعصمة وهذه أمثلة على ذلك:

أ- أظهر سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب كراهيته لصلح أخيه الحسن مع معاويةﷺ. وقد روى صاحب الفصول عن أبي مخنف أنّه قال:

(كان الحسين يبدى الكراهة من صلح أخيه الحسن مع معاوية ويقول : لو جُزّ أنفي كان أحب إليّ مما فعله أخي. وإذا خطّأ أحد المعصومين الاخر ثبت خطأ أحدهما بالضرورة، لامتناع اجتماع النقيضين)[2].

فلو كان الحسينﷺ يعلم أنّ أخاه معصوم لما كره ذلك الصلح.!

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٢٥/ ٢٠٣.

(٢) مختصر التحفة الاثني عشرية للدهلوي ص١٢١.

ب- لا تستطيع الشيعة الإمامية أن تقول: إنّ بيعة الحسن لمعاوية كانت صوابا؛ لأنّ هذا القول يوجب تصحيح خلافة معاوية، وهو -عندهم- كافر ظالم، ولا يستطيعون أيضا أن يقولوا: إنّها خطأ؛ لأنّ القول بهذا يبطل عصمة الحسن[1].

ولا حجة لمن قال: إنّ المسائل التي اختلفوا فيها كانت مسائل اجتهادية؛ لأنّ المعصوم لا يجتهد؛ ذلك لأنّ علمه إلهامي؛ فانتفى الاجتهاد.

ج- اختلف سيدنا علي بن أبي طالب مع ابنه الحسن رضي الله عنهما في أمر خروجه إلى (موقعة الجمل). وتبيّن لسيدنا علي -فيما بعد- أنّ رأي الحسن كان صوابا؛ فتأسّف لعدم أخذه برأيه. وهذا دليل على عدم عصمة واحد منهما.

د- احتار قسم من اتباع الحسن والحسين لمّا علموا أنّ الحسن صالح معاوية مع كثرة أنصاره، وأمّا الحسين، فقد حارب مع قلة أنصاره، واستشهد واستُشهِد معه أصحابه: فإن كان الحُسين معصوما في مجاهدته وقتاله، فإنّ قعود الحسن عن قتال معاوية ومعه الكثير من أنصاره باطل، وهذا دليل على عدم عصمة واحد منهما[2]. ومعلوم قول الشيعة انّ الإمامة قد نالها الحسن بنصّ إلهي، فكيف يحقّ له أن يتنازل عنها؟!!!

---

(١) أصول الدين لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، ص٧٨، الطبعة الأولى ١٩٢٨، دار الفنون، تركيا.

(٢) ينظر: ما قاله النوبختي في كتابه (فرق الشيعة) ص٤٦-٤٧، طبعة النجف، وكتاب الشيعة والسنة، تأليف: إحسان إلهي ظهير، ص١٦٢، الطبعة الأولى ١٤٢٦-٢٠٠٨، مكتبة بيت السلام-السعودية، ودار ابن حزم-القاهرة.

وهناك روايات شيعية كثيرة فيها ما فيها من التناقض تنسب لمن يقولون بعصمتهم في المسألة الواحدة. بل هناك تناقض في أقوال الإمام الواحد في الروايات المنقولة عنهم. وكان هذا سببا في رجوع عدد من الشيعة عن مذهبهم إلى الدين الحق. ولا شك أنّ هذا الاختلاف ينقض القول بعصمة الأئمة الاثني عشر.!

٤- لم يدع علي والحسن والحسين وأولادهمﷺ العصمة لأنفسهم، بل كانوا يعترفون بالذنوب سرّا وعلانية، ويتضرّعون إلى الله أن يغفر لهم ذنوبهم، ونجد شيئا من هذا واضحا حتى في نهج البلاغة: فهم إمّا أن يكونوا صادقين في استغفارهم وهذا ينفي العصمة عنهم، وإمّا أن يكونوا غير ذلك -وحاشا لله أن يكونوا كذلك- فيصيرون كاذبين، والكذب خطيئة توجب التوبة والاستغفار. يقول الإمام الجويني:

(فمن أبدى مراءا في اعترافهم بالذنوب، فقد جاحد ضرورات العقول، ومن اعترف بذلك واعتقد عصمتهم، فقد نسبهم إلى الخلف عمدا والكذب قصدا، وهذا إثبات ذنب في مساق ادّعاء التبرّي من الذنوب)[1].

مقاصد الشيعة من عقيدة العصمة

جعل الشيعة الإمامية عصمة أئمتهم الاثني عشر عقيدة راسخة من عقائدهم، وقصدوا من ذلك تحقيق أمرين اثنين:

الأوّل: أنّ الإمامة لا تكون إلا بالنصّ والتعيين من معصوم، فيكون تعيين

---

(١) غياث الأمم للجويني ص٢٦٦، تحقيق: د. عبد العظيم محمود الديب، الطبعة الثالثة ١٤٣٢- ٢٠١١، دار المنهاج، السعودية.

الإمام مهمّة النبي المعصوم. وعلى هذا لا تكون الإمامة من المصالح الدنيوية التي تفوّض إلى الأمّة، بل هي ركن الدين الأصيل.

الثاني: إبطال إمامة الخلفاء الذين سبقوا عليا بتولي الخلافة رضي الله عنهم جميعا وهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان. وحجتهم أنّ الخلفاء الثلاثة هؤلاء ليسوا بمعصومين، بل كانوا ظالمين، وليسوا بمؤهلين للإمامة[1].

ما يترتب على القول بعصمة الأئمة

يترتب على القول بعصمة الأئمة عند الشيعة: أنّ أقوال الائمة الاثني عشر هي كأقوال الله ورسوله. ويفصح عن هذه العقيدة د. عبد الله الفياض فيقول:

(إنّ الاعتقاد بعصمة الأئمة جعل الأحاديث التي تصدر عنهم صحيحة، دون أن يشترطوا إيصال سندها إلى النبيﷺ كما هو الحال عند أهل السنة)[2].

وكان محمد المازندراني قد قال من قبل:

(إنّ حديث كل واحد من الأئمة الطاهرين قول اللهﷻ، ولا اختلاف في أقوالهم، كما لا اختلاف في قوله تعالى)[3].

المعصوم منذ الولادة لا يستحق الثواب

لا يستطيع مسلم عاقل أن يقول بوجود إنسان معصوم عن أي نقص كان في علمه وعمله؛ لأنّ اللهﷻ خلق الإنسان مختارا في تصرفاته، فيقدم على أعمال الخير

---

(١) لزيادة الاطلاع ينظر: النظرية السياسية المعاصرة للشيعة الإمامية الاثني عشرية، تأليف: محمد عبد الكريم عتوم، ص٧٨، الطبعة الأولى ١٤٠٩-١٩٨٨، دار البشير، عمّان- الأردن.

(٢) تاريخ الإمامية وأسلافهم، تأليف: د. عبد الله الفياض، ص١٥٨.

(٣) في مذاهب الاسلاميين للدكتور: عامر النجّار ص١٨٨، طبع سنة ١٩٩٩، دار المعارف، القاهرة.

وأعمال الشر باختياره، وقد رتّب سبحانه الثواب والعقاب على ما يختاره الإنسان من عقيدة وما يقدمه من قول وعمل. ولو فرضنا -جدلا- أنّ اللهﷻ خلق إنسانا معصوما وقد بلغ الكمال في كل شيء من غير جهد منه ولا تعب، فإنّ هذا الإنسان لا يستحق المدح؛ إذ يكون كالآلة الصمّاء بيد صاحبها يحركها كيف يشاء، فليس له معاناة في الإقدام على طاعة الله أو الإحجام عنها.

وننظر إلى أنبياء الله ورسله -وهم أفضل البشر- فنجد الواحد منهم يحرص على عبادة الله وتحمّل المشاق في ذلك. ألم يوجّه الله نبيّه محمداﷺ بقوله: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ سورة مريم. وهذه الآية صريحة في دعوة الله نبيه محمداﷺ على الصبر في عبادته لربه. والصبر لا يكون إلا عند التعب والنصب، وكل من ليس له اختيار لا يجد جهدا في الإقبال على العمل أو الإحجام عنه. ولقد كان النبيﷺ يعبد ربّه ويقوم من الليل حتى تفطّرت قدماه، فنزل عليه الوحي بقوله تعالى: ﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ ﴾ سورة طه.

وقال سبحانه: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ ﴾ سورة المائدة/ ٤٩.

وخاطب الله نبيّه محمداﷺ بقوله:

﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴿٧٣﴾ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ﴿٧٥﴾ ﴾ سورة الإسراء.

وخاطب الله تعالى نبيّ الله داؤد‍ عليه السلام بقوله: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ سورة ص.

وحذّر سبحانه وتعالى نبيّه محمداً ﷺ كما حذّر الأنبياء من قبله فقال:

﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ سورة الزمر.

هذه الآيات وأمثالها صريحة في أنّ أنبياء الله ورسله يتكلفون طاعة الله تعالى، ويلاقون ما يلاقون في ذلك من التعب والجهد في العبادة.

ويحق لكل أحد أن يقول –بعد هذا–: إذا كان الأئمة يولدون معصومين –كما يقولون–: فأي فضل لهم إذا كانوا لا يقاومون نزوات النفس وشهواتها؟!

إنّ الإنسان يمدح إذا قدر على ارتكاب المحظور بعد ميل نفسه إليه فلم يفعل خوفا من الله، كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ سورة النازعات.

ولقد كرّم الله عباده المتقين، وجعل منزلتهم أعلى من منزلة الملائكة بطاعتهم لله عن اختيار. يقول الدكتور موسى الموسوي:

(العصمة في حقيقة حالها إنما هي تنقيص من حق الإمام لا مدح فيه؛ لأن تفسير العصمة بالمفهوم الشيعي تعني أن الأئمة منذ ولادتهم وحتى وفاتهم لم يرتكبوا معصية بإرادة الله، وهذا يعني فقدانهم الإرادة في تفضيل الخير على الشر. ولست أدري أية فضيلة تكتب للمرء عند الله إذا لم يستطع القيام بعمل الشر بسبب إرادة خارجة عن ذاته؟! نعم إذا كانت العصمة تعني أن الأئمة مع القدرة

على الإتيان بالمعاصي لن يأتوا بها لعلو في نفوسهم وملكة قوية في أخلاقهم، وحاجز يحجزهم عن معصية الله، فهذا كلام معقول يتلاءم مع المنطق والعقل، ولكن في هذه الحالة لا نستطيع القول: إن هذه النفسية تخص أشخاصاً معدودين، وأنها خاصة لأئمتنا –أئمة الشيعة– فقط بل إنها صفة يستطيع كل إنسان أن يتصف بها إذا التزم حدود الله، وأطاع أوامره، وانتهى عن نواهيه...)[1].

في ضوء ما تقدّم لا يستحق المعصوم الثواب في فعل الطاعات واجتناب المحرّمات إذا كان فاقدا للاختيار، ولا يستحق ذلك إلا المختار الذي بذل جهده في الطاعة واجتناب المحرّم.

مصدر العصمة

لا تكون العصمة لأي إنسان كان إلا من الله تعالى وحده، فهو الذي يمنحها لمن يشاء من أنبيائه ورسله، فلا تكون إلا بنصّ قطعي الثبوت والدلالة لا شكّ فيه ولا لبس، ولا تكون العصمة إلا بقضايا التشريع، فلا تكون في الأمور الدنيوية.

ونقرأ في القرآن الكريم، فنجد أنّ الله تعالى هو الذي يصطفي من يشاء من الأنبياء والرسل، قال الله تعالى:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ سورة آل عمران.

وقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ﴾ سورة مريم/ ٥٨.

(١) الشيعة والتصحيح، تأليف: موسى الموسوي ص٨٢، طبع سنة ١٤٠٨-١٩٨٨.

وخاطب الله نبيّه محمداﷺ بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ ﴾ سورة الأحزاب.

وقد كثرت آيات القرآن التي قررت أنّ اللهﷻ هو الذي يصطفي أنبياءه ورسله من خلقه، ولا تكون عصمتهم إلا في مجال التشريع، مع حفظ الله لهم من الوقوع في الآثام، أمّا ما عدا ذلك من الأمور الدنيوية، فإنّ الرسول بشر كسائر البشر، قال تعالى:

﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ ﴾ سورة الكهف/ ١١٠.

وهكذا تكون العصمة في الوحي التشريعي، ولا تكون لأحد بعد وفاة النبيﷺ، ولا تكون إلا لما جاء في القرآن الكريم والصحيح من أحاديث النبيﷺ، قال الله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ سورة النساء/ ٥٩.

وهكذا لا تكون العصمة من غير نصوص قطعية الثبوت والدلالة[1].

وبعد:

فلا نستطيع أن نجد دليلا واحدا على عصمة سيدنا علي بن أبي طالبؓ من الآية الكريمة ولا عصمة غيره؛ لأنّ الآية تتحدّث في إمامة إبراهيم عليه السلام، وليس فيها نص ولا إشارة إلى عصمته ولا إلى عصمة غيره. ولا تدل الآية الكريمة على العصمة حتى لو قلنا: إنّها وردت في الإمامة، فلا يُقال: إنّ غير الظالم معصوم لا يخطئ ولا يسهو، فيكون القياس –على مذهبهم-: أنّ المخطئ ظالم، والساهي

---

(١) لزيادة الاطلاع ينظر كتاب: الشيعة والتشيّع، تأليف المستشار الدكتور: فتحي السيّد لاشين، الطبعة الأولى ١٤٣٠-٢٠٠٩، البشائر للبحوث والدراسات.

ظالم، وهذا لا يقول به إنسان عاقل منصف؛ لأنّ بين إثبات العصمة ونفي الظلم فرقا لا يخفى.

أمّا ما استدلّ به الإمامية في الآية على إمامة وعصمة سيدنا علي بسبب أنّه لم يقع منه شرك أو ذنب في حياته كلها، فهذه دعوى تحتاج إلى دليل.

على أنّ سيدنا علياﷺ حتى لو لم يسجد لصنم، فقد كان صغيرا حين أسلم، ولم يكن وحده الذي لم يسجد لصنم عند مبعث النبيﷺ، فإنّ أبا بكر الصدّيق لم يسجد لصنم أيضا، ولم يقف أبو بكر هذا الموقف من عبادة الأصنام إلا بعد تفكّر وتدبّر، بينما سيدنا عليﷺ كان صغيرا لم يجر عليه القلم عند مبعث النبيﷺ، وقد كان كثير من الأحناف لم يسجدوا لأيّ صنم كان، ومن هؤلاء: أبو ذر الغفاري، وزيد بن نفيل، وورقة بن نوفل ...وغيرهم.

على أنّ علياﷺ حتّى لو سلّمنا أنّه لم يسجد لصنم، فإنّ هذا لا يستلزم عصمته وإمامته، وإلا لزم أن يكون أبناء الصحابة معصومين؛ لأنّهم لم يسجدوا لصنم قط.

اللهم اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالّين.! اللهم آمين!

المحتـوى

الموضوع — الصفحة







دار عمار للنشر والتوزيع
عمان - ساحة الجامع الحسيني - سوق البتراء - عمارة الحجيري
للفاكس ٤٦٥١٤٣٧ - ص.ب ٩٢١٦٩١ عمان ١١١٩٢ الأردن
E-mail: dar_ammar@hotmail.com